

حقيقة الأمة الوسط

" شرف الله قدرها "

الطبعة الثانية

وجدى حسن سري
باحث في الفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

المقدمة

أصدرت عام ١٩٩٢م. كتابا بعنوان " السبع اللآلئ القرآنية " ، وكان بحثا مختصرا لسبع موضوعات عن الخلق والنشأة والبعث، وتركت الباب مفتوحا للقارئ لمناقشة ومراجعة التفاسير المختلفة لآيات الله البينات واكتشاف حقيقة كل موضوع على حدة، وعقبت بأن كل موضوع من السبعة مواضيع يمكن أن يكون كتابا مسهبا موضحا كل حجة وبرهان من آيات الله البينات ، ومن أهم هذه المواضيع السبعة " الأمة الوسط " .

لذا قررت إصدار كتاب خاص عن " حقيقة الأمة الوسط شرف الله قدرها" ... راجيا من الله تعالى أن يكون فيه الكفاية والنور المبين الواضح لحقيقة الأمة الوسط؛ لتزول الغشاوة عن قلوب قوم مؤمنين يبحثون عن الحقيقة والبرهان في آيات الله البينات وأحاديث رسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ زعيم الأمة الوسط والشاهد عليها. ولم أتعرض في الطبعة الأولى لآراء السادة المفسرين بالنقد والتحليل ، واكتفيت بتوضيح الحقيقة بتطابق الآيات البينات مصداقا لقوله تعالى:

﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ (هود ١٠١)

وقد كانت الطبعة الأولى واضحة ومقنعة لكثير من القراء، أما لبعض الباحثين في كتاب الله فحدث التباس في الأمر نظرا لتمسكهم بشتى التفاسير المختلفة للسلف الصالح والسادة العلماء.

ولما كانت هذه التفاسير المختلفة عارية تماما من كل حجة أو برهان أجد من المفيد تنفيذ آراء السادة المفسرين وأؤكد هنا أنها لم تكن سوى آراء شخصية لتفسير آيات الله البينات مما أضاع الحقيقة.

ولما كان القرآن الكريم كتاب الله ميسراً للفهم لكافة الناس فلم أكن في حاجة لاستخدام الألفاظ الأكاديمية غير المفهومة لدى عامة الناس، والتي يستخدمها المفسرون لتدعيم آرائهم الشخصية وتحليلاتهم اللغوية في تفسير القرآن. والتزمت بتفسير القرآن بالقرآن، معتمدا على التطابق بين الآيات ومتجنباً استنتاج المعاني بالرأي ..

لهذا كله حرصت في تقديم الطبعة الثانية على التعرض لهذه الآراء لإظهار حقيقة الأمة الوسط أكثر وضوحاً وأكثر جلاءً للباحثين في كتاب الله. وأنتهز هذه الفرصة لأدعو السادة المفسرين والعلماء إلى تفسير القرآن بالقرآن، وخلق مدرسة جديدة تبني شرح القرآن بتطابق الآيات ، وبذلك يجنبوا القارئ العادي الضياع بين شتى الآراء الشخصية والمتعارضة أحيانا عند محاولة فهم كتاب الله.

أثابهم الله وسدد خطاهم ونفعنا جميعاً بمجهودهم المشكور سلفاً.
اللهم قد بلغت.... اللهم فاشهد

ملحوظة : استخدمت مصطلح "الدنيا الصغرى" و"الدنيا الكبرى" في هذا البحث وأقصد:

بالدنيا الصغرى : الحياة الدنيا الأولى من الخلق حتى الموت.

والدنيا الكبرى : الحياة الدنيا الثانية من الموت حتى البعث.

ومن أراد أن يزداد وضوحاً عن الدنيا الصغرى والكبرى يرجع لكتاب "السبع اللآلئ القرآنية" أو لكتاب "الدنيا الصغرى" و"الدنيا الكبرى" الذي سيظهر قريباً لنفس المؤلف ...

تساؤلات عن حقيقة الأمة الوسط

قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

(البقرة ١٤٣)

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝﴾

وقال ﷺ : إن قول الله تعالى ﴿ وَسَطًا ﴾ أي "عدلاً" .

إذن فلأن الأمة الوسط جميع أفرادها يتصفون بالعدل سيكونون شهداء على الناس والرسول ﷺ شهيداً عليهم.

ومن هنا جاءت التساؤلات :

هل الأمة المحمدية منذ عهد الرسول ﷺ حتى يوم البعث هي الأمة الموصوفة في هذه الآية ؟

وهل حقاً جميع أفرادها يتصفون بالعدل ؟ العدل، الشرط الذي على أساسه سيجعلهم الله شهداء على الناس أجمعين ؟ والناس هنا تعني كل الناس منذ آدم حتى البعث.

وهؤلاء الناس هم: إما من أصحاب اليمين (أهل الجنة)

أو من أصحاب الشمال (أهل النار).

إذن فأين موقع الأمة المحمدية ليشهدوا لأصحاب اليمين وعلى أصحاب الشمال..؟

وهل من الأمة المحمدية من هو من (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال).
وأين يحدث ذلك..؟ وكيف..؟

ولكن الله تعالى يقول: إن اختياره للشهداء يتم بعد اختبارهم وابتلائهم.

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ (آل عمران ١٤٠)

﴿ فهل قول الله تعالى ﴿ يتخذ منكم ﴾ يعني يتخذ من الأمة المحمدية فقط أو

يتخذ من كل الأمم الإسلامية السابقة كذلك ؟

﴿ وَلَمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ

عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۗ ﴾ (النساء ٠٤١) ؟

فهل هذا يعني أن الرسول ﷺ سيكون شهيداً على شهداء الأمة المحمدية فقط

أو على شهداء جميع الأمم الإسلامية ؟

وبالإجابة على هذه التساؤلات ستتضح لنا حقيقة الأمة الوسط.

وهذا ما سنراه في هذا البحث ...

يقول المفسرون لكتاب الله: إن خير أمة أخرجت للناس هي الأمة الحمدية أي المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ إلى يوم البعث، وأن هذه الأمة ستكون شاهدة على الناس يوم القيامة، ويكون الرسول عليهم شهيداً. واستدلوا بقول الله (في الآية ١٤٣ من سورة البقرة):

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

واستدلوا بقول الرسول ﷺ :

" أنا وأمتي يوم القيامة على كور مشرفين على الخلاق، ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا وما من رسول كذبه قومه إلا ونشهد له بالبلاغ ، ذلك قوله :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ۗ ﴾ والوسط العدل ، فتشهدون له بالبلاغ ،
وأشهد عليكم. " ١

والحقيقة أن من تتبع قراءة كتاب الله عز وجل من أوله إلى آخره تبين له أن الله وضع لنا مبادئ ثابتة بُنيت عليها شريعته للناس في حياتهم التكليفية، وبنيت على أساسها محاسبتهم في حياة الجزاء عنده. وعلى أساسها يفضل الله الناس بعضهم على بعض ... ويجعلهم درجات متفاوتة ، وأساس هذه المبادئ جميعها على الإطلاق هو تقوى الله ...

فالميزان الوحيد الذي يفرق الله به بين الناس هو ميزان التقوى، مهما كانت أجناسهم، ومهما كانت ألسنتهم أو انتماءاتهم لأمة من الأمم أو شعب من الشعوب، وفي أي عصر أو أي جيل كان منذ آدم حتى البعث ، فخير الناس عند

١ تفسير الطبري (جزء ٢ ص ٨) سورة البقرة: ١٤٣

الله وأكرمهم أتقاهم.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

(الحجرات ١٣)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾

ومن هنا يأتي التساؤل :

لماذا ... إذن يفضل الله الأمة المحمدية على سائر الأمم الإسلامية ؟

فهل هي خير أمة في التقوى، وهل جميع أفرادها يتفوقون على جميع أفراد الأمم

الأخرى بتقوى الله حتى يكونوا أكرمهم عند الله ؟

فالله تعالى يقول في كتابه العزيز إن التفضيل بين الناس يكون بين الأفراد ..

(الأنعام ١٦٤)

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

(البقرة ٢٨٦)

(الحجرات ١٣)

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾

ولذلك فعندما يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(آل عمران ١١٠)

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

وبناءً على ما بينه الله بأن التفضيل بين الناس يكون بين الأفراد ...

فيتضح لنا أن خير أمة أخرجت للناس ليست بالأمة المحمدية ... أو أمة عيسى أو

أمة موسى أو أمة إبراهيم ... أو أي أمة إسلامية أخرى ...

بل هي أمة تتألف ممن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله

منذ آدم حتى البعث.

إذن علينا بالتحري عن المعني بقوله تعالى :

﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)

وعلينا بالتحري عن المعني بقول الرسول ﷺ :

"أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا " ^١

أي أن هذه الأمة المشرفة على الخلائق أجمعين والمعدة للشهادة للرسول وعلى الناس أجمعين ستكون معفية من الحساب، ولأنها تشهد في محاكمة الناس فتدخل الجنة بغير حساب ؟

للم فممن تتألف هذه الأمة المميزة على الخلق أجمعين. ويتزعمها الرسول ﷺ!؟

^١ تفسير الطبري (جزء ٢ ص ٨) سورة البقرة: ١٤٣

إثبات حقيقة الأمة الوسط

أولاً : بتطابق الآيات

ثانياً : من جانب أسباب التزول

ثالثاً : من جانب متن اللغة العربية

رابعاً : من جانب أسس العقيدة الإسلامية

الأمة الوسط

اعلم أيها القارئ الكريم أن ما نحن بصدده الآن تبيان وتوضيح حقيقة الأمة الوسط شرف الله قدرها، وجعلنا جميعا من أعضائها جزاء لنا لطاعته وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ، وجزاء لأعمالنا الصالحة في حياة التكليف بالدنيا الصغرى ، وجزاء لجهادنا في سبيل الله حق الجهاد.

ومن منا لا يتمنى أن يكون من أمة محمد ﷺ الخاصة ؟ الأمة التي سيجعلها الله على كوم مشرفين على الخلائق يوم البعث، الأمة التي ستشهد على الناس أجمعين وعلى الرسل والنبين يوم الحساب ، الأمة التي تمنى كل المسلمين من سالف الأمم الإسلامية الانضمام إليها.

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آل عمران ٥٣)

ومن منا لا يتمنى أن يكون من الأمة التي سينعتها الله يوم القيامة بقوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

هذه هي الأمة الوسط أمة محمد ﷺ الخاصة.

﴿ فهل هي الأمة الإسلامية قاطبة من عهد محمد ﷺ حتى البعث ؟

الجواب :

لا.. ثم .. لا

لماذا... ؟

أولاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط بتطابق الآيات

يقول الله تعالى :

﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود ١٠١)

فالآية المحكمة يفصلها ويفسرهما الله لنا في آيات أخرى ، وبتبعنا لمشهد يوم القيامة في سورة الواقعة، وسورة الرحمن، وسورة الزمر، وبالتطابق بين الآيات تتضح لنا حقيقة الأمة الوسط المذكورة في سورة البقرة :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة ١٤٣)

مشهد يوم القيامة

وموقع أمة محمد في سورة الواقعة

يقول الله تعالى في سورة الواقعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾

وُئِسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾

(الواقعة ٠٠١-٠١١)

يبين الله لنا في هذه الآيات الكريمة أنه يوم القيامة سيوزع الخلق إلى ثلاث مجموعات:

أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة و السابقون.

فأصحاب الميمنة : (أصحاب اليمن والفأل الحسن) عن يمين العرش ويحملون كتابهم يمينهم استعدادا لدخول الجنة بعد الحساب اليسير.

وأصحاب المشئمة : (أصحاب الشؤم والفأل السيئ) عن شمال العرش ويحملون كتابهم بشمالهم استعدادا لدخول النار بعد الحساب العسير.

أما السابقون : فأولئك المقربون فلا هم عن يمين العرش ولا هم عن شمال العرش بل سابقون. إذن فالسابق هنا يكون بدخول الجنة حيث الإعفاء من الحساب كالشهداء والمقربين.

إذن فاليمين والشمال والسبق هي مواقع وصفات المجموعات الثلاث يوم الدين. يقول المفسرون: إن السابق يعني أنهم كانوا في الدنيا الصغرى سابقين لعمل الخيرات، وهذا لا ينطبق؛ لأن السابق هنا صفة من صفات يوم القيامة، وهذا لتمييزهم عن أصحاب اليمين الذين يدخلون الجنة كذلك ولكن بعد الحساب أما هم فسابقون بدخول الجنة بدون حساب.

أما عن ذكر الله ﴿أزواجًا ثلاثة﴾ :

أزواجًا : جمع زوج، وزوج يعني : مزدوج، وهو ما يقسم على ٢ دون بقية، وهو عكس مفرد.

إذن أزواجًا ثلاثة : أي ثلاث مجموعات، في كل مجموعة زوج أي اثنان، والمقصود بذلك تبينه لنا سورة الرحمن عند ذكر يوم القيامة، تماما كما ذكرت في سورة

الواقعة:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ ﴿٣٦﴾ (الرحمن ٠٣٦)

﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ﴿٣٧﴾ (الرحمن ٠٣٧)

﴿ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٣٨﴾ (الرحمن ٠٣٨)

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿٣٩﴾ (الرحمن ٠٣٩)

صدق الله العظيم

وكذلك في سورة الأنعام :

﴿ يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتَّهُمُ الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ (الأنعام ١٣٠)

فالذين شهدوا على أنفسهم هنا هم معشر الجن والإنس أي الثقلين أي زوج من أصحاب الشمال.

إذن فالمخلوقات المسئولة يوم القيامة هم "الثقلان": "الإنس والجان" وكما يكون الإنس من أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون، كذلك يكون الجن.

فأصحاب اليمين زوج من الفرق : إنس وجان

وأصحاب الشمال زوج من الفرق : إنس وجان

والسابقون زوج من الفرق : إنس وجان

وكذلك بين لنا الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة أن الخلق موزع إلى ثلاث مجموعات في الدنيا الكبرى قبل البعث، سواء في رؤية رآها صحبة جبريل وميكائيل عليهما السلام، أو في أحاديث الإسراء والمعراج:

رؤية أصحاب المشئمة :

إنه ﷺ رأى المعذنين من أصحاب الجحيم في السبع أرضين يجرى عليهم أنواع العذاب المختلفة كل حسب معصيته .

١- رؤيته مناما :

(صحيح البخاري) مثال لذلك قوله ﷺ :

قال : قلت لهما فإني رأيت من الليلة عجا بما هذا الذي رأيت ؟

قال : قالوا لي : أما نحن سنخبرك .

- أما الذي رأيته يشق شذقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة .

- والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة .

- والذي رأيته في الثقب فهم الزناة .

- والذي رأيته في النهر آكلوا الربا .^١

٢- رؤيته يقظاً ليلة الإسراء والمعراج :

(عن ابن عباس رضي الله عنهما) مثال لذلك :

- ورأيت نساء صمًا بكمًا عميًا في تابوت من نار يخرج من دماغهن مثل الدهن من مناخيرهن وأبدانهن منتنة تتقطع من الجذام والبرص. فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل ؟

قال : هؤلاء اللاتي أولادهن من غير أزواجهن .

- ورأيت امرأة رأسها كراس الخنزير وبدنُها كبदन الحمار وعليها ألف نوع من العذاب. فقلت من هذه المرأة يا أخي يا جبريل ؟

^١ البخاري (كتاب الجنائز باب حدثنا موسى) جزء ٣، ص ٢٥١ .

قال هي النمّامة التي توقع العداوة بين زوجها والجيران ، وتسعى بين الناس بالنميمة والكذب.

- ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فوقها وتخرج من تحتها، والملائكة يضربون رأسها بمقامع من حديد. فقلت : من هذه يا أخي يا جبريل؟

قال : هذه محرّشة بين الناس بالبغضاء .

- ورأيت رجالاً ونساءً مصفدين بأصفاد من نارٍ وجباههم قد اسودت والحيات مطوقات بأعناقهم تلدغهم فتهري لحومهم ، ثم يعودون خلقاً جديداً فقلت : من هؤلاء يا أخي يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله. - ورأيت أقواماً بين أيديهم لحم طيّب ولحمٌ خبيث، وهم يأكلون الخبيث ويتركون الطيب ، فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تكون لأحدهم امرأة فيتركها ويميل إلى الحرام ، والتي تكون مع زوجها بالحلال وتميل إلى الحرام.^١ (صدق رسول الله ﷺ)

ما يستنتج من حديث الرسول ﷺ:

١ - فقول الرسول ﷺ: (فرجل علمه الله القرآن فنام عنه):

يعني أنه حتى من المسلمين من أمته من يتعرض للعذاب ضمن أصحاب المشئمة .

٢ - وقوله ﷺ: " فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة ":

يعني أن أنواع العذاب المذكورة كلها تقع في الدنيا الكبرى منذ الموت حتى قيام الساعة وليس في القبور بل في السبع أرضين مصداقاً لقوله تعالى :

^١ البخاري (كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا) جزء ١٢ ، ص ٤٣٨ .

(المؤمنون ١٠٠)

﴿ وَمَنْ وَرَأَيْهِمْ بَرَزَ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾

(الفرقان ٠٢٢)

ومصادقا لقوله ﷺ : (رواه البخاري)

" من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين " ^١

البرزخ : هو حاجز يعاقب الله به الكافرين بمنعهم الخروج من السبع أرضين عكس المؤمنين فهم أحرار ينتقلون كالملائكة في السماوات والأرض.

الحجر المحجور : بمثابة السجن في السبع أرضين محجور على الكافرين الخروج منه.

فالبرزخ والحجر المحجور يمنعان المغضوب عليهم حرية الحركة فهم سجناء في السبع أرضين.

٣- وقوله ﷺ :

- "ورأيت امرأة رأسها كراس الخنزير وبدنها كبदन الحمار".

- "ورأيت امرأة على صورة الكلب".

يعني أن صور المعذبين في الدنيا الكبرى بشعة مصادقا لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

(التين ٠٠٤-٠٠٦)

وقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ

^١ البخاري (كتاب بدء الخلق ما جاء في سبع أرضين) جزء ٦، ص ٢٩٢.

(الواقعة ٠٦٠-٠٦١)

وَنُنشِعْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ جَ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴿١٢﴾ (المائدة ٠٦٠)

رؤية أصحاب الميمنة والسابقين :

قوله ﷺ : " وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب ، قلت طوفتmani الليلة فأخبراني عما رأيت ، قالوا : نعم

أما الدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين ،

وأما هذه الدار : فدار الشهداء

وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك

فرفعت رأسي (فإذا فوقني مثل السحاب)

- وفي رواية أخرى :-

(فصما بصري صعداً فإذا قصر مثل الربابة البيضاء)

قالا : ذاك منزلك . قلت : دعاني أدخل منزلي .

قالا : إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك " ^١

(مقتطفات من حديث طويل - صحيح البخاري)

^١ البخاري (كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا) جزء ١٢ ، ص ٤٣٨ .

ما يستنتج من حديث الرسول ﷺ

أن الدار الأولى : دار أصحاب الميمنة

والدار الثانية : دار السابقين والمقربين (دار أعلى وأفخم)

والقصر مثل السحاب : دار الرسول ﷺ ينتظره لحين قضاء الأجل ليقضي فيه حياته الدنيا الثانية (الأجل المسمى عنده).

مصداقا لقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾

(الأنعام ٠٠٢)

أجلا : مدة الحياة الدنيا الأولى : من الخلق حتى الموت.

وأجل مسمى عنده : مدة الحياة الدنيا الثانية : من الموت حتى البعث.

(لأن كلا الأجلين ينتهي ، أما الحياة بعد الحساب فهي خالدة لا نهاية لها)

فكما ترى أيها القارئ :

أصحاب الشمال : في السبع أرضين.

وأصحاب اليمين : في دار عامة المؤمنين.

والسابقون : في دار أحسن وأفضل.

وفوقهم جميعا قصر حسن معدّ للرسول ﷺ لقضاء حياته الدنيا الكبرى حتى البعث.

فالحياة الدنيا الأولى : ساحة عمل يخرج منها الخلق لحياة دنيا ثانية : عند الله

ويصنفون في السبع أرضين، ودار عامة المؤمنين، ودار الشهداء كل حسب عمله في

حياة التكليف، ويقضون الجزاء المؤقت حتى قيام الساعة حيث يأخذ كل فريق

موضعه.

كما قال الله تعالى :

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ

الْمُشْتَمَّةِ مَا أَصْحَبْتُ الْمُشْتَمَّةَ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ (الواقعة ٠٠٧-٠١٠)

فهنا نتساءل

﴿ أين موقع الأمة الحمديّة من هذه الفرق الثلاث ... ؟

يقول الله تعالى في سورة الواقعة :

(١) ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ (الواقعة ٠١٠-٠١٤)

فالأولون : هم الخلق منذ آدم حتى محمد ﷺ

والآخرون : هم الخلق من عهد محمد ﷺ حتى البعث، " أي الأمة الحمديّة".

أما قول الرسول ﷺ :

" نحن الآخرون السابقون يوم القيامة " ^١

الآخرون : أي آخر الأمم في الدنيا.

السابقون : أي يسبقون الأمم في الحساب.

ولا يعني أن المسلمين منذ عهده ضمن السابقين لأن الله تعالى يقول :

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ (الواقعة ٠١٤)

أي قليل من عهد محمد ﷺ حتى البعث وليس جلهم.

وفي حديث آخر لرسول الله ﷺ :

" في كل قرن من أمّتي سابقون " ^٢

أي يلتحق من أمّتي العامة كل مائة عام جزء بالسابقين

وهذا تصديقا لقوله ﷺ (أخرجه الصحيحين) :

" لا يزال من أمّتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى

^١ مسند أحمد (جزء ١، ص ٢٨٢) واسناده صحيح.

^٢ حلية الأولياء (جزء ١، ص ٨).

يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " ١ صدق رسول الله.

أي ضمن أمي العامة أمة خاصة قائمة بأمر الله وهؤلاء هم السابقون يوم القيامة.

(٢) ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ﴿٢٧﴾ (الواقعة ٠٢٧)

﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ (الواقعة ٠٣٩-٠٤٠)

كذلك يقول الله تعالى أن جزءاً من أمة محمد ﷺ ضمن أصحاب اليمين ﴿ ثلثة من

الآخرين ﴾

(٣) ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ ﴿٤١﴾ (الواقعة ٠٤١)

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ (الواقعة ٠٤٩)

وكذلك يقول الله تعالى أن جزءاً من أمة محمد ضمن أصحاب الشمال وقال عنهم

الرسول ﷺ :

" إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم فو الله ليقطعن ذوي رجال فلاقولنّ

أي ربي مني ومن أمي فيقول إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون

على أعقابهم " ٢ صدق رسول الله.

فكما ترى أيها القارئ أن المسلمين منذ عهد محمد ﷺ موزعون على الفرق

الثلاث (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون).

١ البخاري (كتاب المناقب، باب حدثنا محمد) جزء ٦ ، ص ٦٣٢.

٢ البخاري (كتاب الرقاق، باب في الحوض) جزء ١١ ، ص ٤٦٦.

مشهد يوم القيامة في سورة الزمر

قال الله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ^ط
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

(الزمر ٦٨-٦٩)

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ^ط.... ﴾

(الزمر ٧١)

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ^ط.... ﴾

(الزمر ٧٣)

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ^ط وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

(الزمر ٧٥)

"صدق الله العظيم"

إذن فالحساب يوم القيامة كالاتي :

يوضع الكتاب الذي يحاسب على أساسه كل الخلق ويستدعى النبيون والشهداء ...
لماذا ..؟

ليحاسب الله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

وبعد الحساب سيق الذين كفروا " أصحاب الشمال " إلى جهنم وسيق الذين اتقوا
" أصحاب اليمين " إلى الجنة.

إذن فشهداء المسلمين من كل الأمم هم الذين يستدعون للشهادة للرسول والنبيين،
وللشهادة على أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وليست هناك أمة تستدعى
لتشهد على أمة أخرى كما تصور بعض المفسرين.

والشهداء من كل الأمم هم أعضاء الأمة الوسط مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۗ ﴾

(النساء ٤١)

إذن :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

(البقرة ١٤٣)

تعني الشهداء من كل الأمم.

أما الملائكة الكرام فقدموا كتابا مفصّلا لكل مخلوق بأعماله ووزعوا الخلق عن يمين
العرش وعن شماله وكل يحمل كتابه استعدادا للمحاكمة ، وبعد الحساب يسوق

الملائكة الكرام أصحاب الشمال إلى جهنم زمرا وأصحاب اليمين إلى الجنة زمرا.

ويحفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقد قضى بين الخلق بالحق.

التطابق بين سورة الواقعة وسورة الزمر

وبالتطابق بين الآيات عن مشهد يوم القيامة في سورة الواقعة وقوله تعالى :

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (الواقعة ٠٠٧)

فأين موقع الأزواج الثلاثة في سورة الزمر...؟

فأصحاب الميمنة... هم الذين اتقوا ربهم... أصحاب الجنة.

وأصحاب المشئمة... هم الذين كفروا... أصحاب النار.

أما السابقون... فكما ترى أيها القارئ هم الشهداء والمقربون لا دخل لهم بالحساب لأنهم مغفون، بل ويشهدون في المحاكمة هم والأنبياء كما يقول الله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ (الزمر ٠٦٩)

وقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء ٠٤١)

وكما قال الرسول ﷺ :

"أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه عز وجل ذلك قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وسطاً قال: عدلاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً".^١

فكما نرى الأمة الوسط مؤلفة من الشهداء على الناس منذ آدم حتى البعث،

^١ تفسير الطبري (جزء ٢ ، ص ٨) سورة البقرة ١٤٣

والرسول ﷺ الشاهد عليها؛ لذا فهي أمة محمد الخاصة يوم القيامة لا هم عن يمين العرش ولا هم عن شمال العرش بل على كور مشرفين على الخلائق أجمعين (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال)، وكما يكون الرسول ﷺ يوم القيامة سيد الناس أجمعين فهم خير الخلق أجمعين وهم السابقون بدخول الجنة بغير حساب.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الواقعة ٠١٣-٠١٤)

وحتى ندرك حقيقة الأمة الوسط بجلاء ووضوح انطلاقا من قول الله تعالى في

سورة البقرة (من الآية ١٤٤: ١٤١):

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۗ هَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۗ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدْنَهُمْ عَنِ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۗ قُلْ لِلَّهِ

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ

مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

سنمهد بجمع آراء السادة المفسرين من السلف الصالح والعلماء الأجلاء في عصرنا الحاضر ثم مناقشة هذه الآراء من ثلاثة جوانب:

﴿ أسباب النزول

﴿ متن اللغة العربية

﴿ أسس العقيدة الإسلامية

آراء المفسرين

أجمع السادة المفسرون على أن هذه الآيات الكريمة تعني أن الله هدى المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ باتباع قبلة الكعبة المشرفة بعد أن كانت قبلتهم بيت المقدس، وبذلك خصّهم وميّزهم وفضلهم على سائر الأمم الإسلامية السابقة، وجعلهم خياراً عدولاً ليكونوا شهداء على الناس أجمعين يوم القيامة، ويكون الرسول ﷺ عليهم شهيداً .

وأضاف البعض : جعل الله أمة محمد أمة وسطا نسبة إلى وجود الكعبة المشرفة في وسط بقاع العالم، أي كما جعل الله الكعبة المشرفة في وسط الكرة الأرضية كذلك جعل أمة محمد أمة وسطا أي خياراً عدولاً ليتحقق التناسب بينهم وبين القبلة التي يتوجهون إليها.

وذهب البعض الآخر من المفسرين إلى اعتبار قول الله تعالى ﴿ أمة وسطا ﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى ميّز هذه الأمة بالوسطية أي الاعتدال في كلّ الأمور سواء في الوساطة في التصور والاعتقاد وفي التفكير والشعور وفي التنظيم والتنسيق وفي الارتباطات والعلاقات وفي المكان في سرّة الأرض وفي أوسط بقاعها ... الخ واستشهدوا بقول الله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١١٠)

﴿ هُوَ أَجْتَبْتَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (الحج ٥٧٨)

وفسروا قول الله تعالى: ﴿ وفي هذا ﴾ ... أي: "في القرآن"

واستشهدوا بقول الرسول ﷺ:

" يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم. فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ...؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد . فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ... قال فذلك قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم ". (صدق رسول الله)

هذه آراء السادة المفسرين ، وسأناقشها من ثلاثة جوانب.

مناقشة آراء المفسرين

ثانيا: إثبات حقيقة الأمة الوسط من جانب أسباب النزول

تمهيد :

الأمر في الآيات الكريمة محوره الكعبة المشرفة قبلة المسلمين وأول بيت وضع للناس للعبادة.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾

(آل عمران ٠٩٦)

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿٢٧﴾ (الحج ٠٢٦)

صدق الله العظيم

والكعبة المشرفة:

— قيل إن الملائكة الكرام هم أول من بناها.

— وقيل آدم عليه السلام هو أول من بناها.

— وقيل شيث ابن آدم أو إدريس.

— أما ما هو ثابت في الكتاب والسنة:

١- أن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام هما اللذان رفعوا قواعد البيت.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٢٧﴾ (البقرة ١٢٧)

٢- ثم جددت قريش بناء الكعبة بعد إبراهيم عليه السلام وقبل مبعث الرسول

ﷺ بخمس سنين ، وقد شاركهم ﷺ في نقل الحجارة بل وكلف بوضع الحجر

الأسود موضعه في القصة التي نعرفها جميعا بوضعه على ثوب وإعطاء كل قبيلة طرفاً من الثوب لرفع الحجر إلى الكعبة ثم يأخذه بيديه الكريمتين فيضعه في مكانه . وكان الرسول ﷺ يبدأ الطواف حول الكعبة من الحجر الأسود قائلاً عليه الصلاة والسلام (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع)^١

وقد تبعه في ذلك عمر الفاروق وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما.

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما أن أبا ذر الغفاري - رضي الله

عنه - سأل رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض فقال :

"المسجد الحرام". قلت : ثم أي ؟ قال : "المسجد الأقصى". قلت : وكم بينهما ؟

قال : "أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل".^٢

وقد ذكر الله في سورة الإسراء المسجدين بقوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ١٠١)

(هذه الصورة كان يجب أن نستحضرها لتوضيح أسباب النزول)

وعندما فرض الله الصلاة على الرسول ﷺ وأتباعه بعد معجزة الإسراء والمعراج

وأمرهم باتخاذ المسجد الأقصى قبلة لهم امتثلوا لطاعته.

ولما لم يأمرهم باتخاذ الكعبة المشرفة " المسجد الحرام " قبلة المسلمين منذ الأزل

ومنذ عهد إبراهيم أبي الأنبياء قبلة لهم كان الرسول ﷺ يناجي ربه في هذا الأمر.

وكأنه يتساءل عن الحكمة الإلهية في فرض القبلة شطر المسجد الأقصى، وترك قبلة

الأنبياء السابقين وقبلة إبراهيم عليه السلام بيت الله الحرام وأول بيت وضع للناس.

ثم أنزل الله هذه الآيات البيّنات ليوضح له الأمر جلياً ...

^١ المطالبة العالية جزء ٣ ، ص ٢١٤

^٢ البخاري (كتاب الأنبياء) جزء ٦ ، ص ٤٠٧ - مسلم (كتاب المساجد الباب الأول) جزء ١ ، ص ٣٧٠.

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ١٤٤)

أي أن الله سبحانه وتعالى مطلع على ما يدور بخاطر الرسول ﷺ من رغبة لالتخاذ القبلة الأصل، بيت الله الحرام، أول بيت وضع للناس. وأن أهل الكتاب ليعلمون هذه الحقيقة بأن البيت الحرام هو القبلة الأصل منذ الأزل وأن الله عليم بما ناوراتهم لإخفاء هذه الحقيقة . ثم يبين الله له الأمور الآتية :

(١) ما جعل الله القبلة الأولى إلا لغرض

وهو امتحان واختبار صدق إيمان أتباعه عند العودة للقبلة الأصل فالمنافقون والذين في قلوبهم مرض من أتباعه سيجدونها كبيرة، أما الصادقون في إيمانهم سيمثلون لطاعته دون تردد.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٣)

(٢) القبلة في حد ذاتها ليست هي أصل العبادة والطاعة لأن التوجه لله يكون في أي اتجاه ، فالصلاة شطر المسجد الأقصى كانت هدىً وصراطاً مستقيماً ومقبولة عند الله لأنها امتثال لطاعته.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٤٣)

(وقد عبر الله عن الصلاة هنا بالإيمان)

وكذلك الصلاة شطر المسجد الحرام هدىً وصراطاً مستقيماً لأنها امتثال لطاعته

بالمثل. لذلك يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ (البقرة ١٤٢)

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ..﴾ (البقرة ١١٥)

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٧٧)

إذن فالتقوى هي اتباع العبادات المذكورة، وليس التوجه شطر المشرق أو المغرب (المسجد الأقصى أو المسجد الحرام)

إذن فليس هناك تمييز لأمة عن أمة بالتوجه نحو القبلة . ولو كان هناك تمييز لكان الفضل لمن سبق باتباع القبلة .

ولنتساءل الآن :

﴿ من المعنيّ بهذه الآيات الكريمة من سورة البقرة ...؟ ﴾

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ هَٰؤُلَاءَ مِنْ قِبَلِكُمْ ؕ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ لَعَلَّ هُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٤٢)

هل هم المسلمون الذين اتبعوا قبلة المسجد الأقصى ثم توفاهم الله قبل نزول الآية ؟

الجواب :

طبعاً لا

هل هم المسلمون الذين اتبعوا قبلة المسجد الحرام ولم يعاصروا قبلة المسجد الأقصى منذ عهد محمد ﷺ حتى يوم البعث ؟

الجواب : بالمثل لا لماذا..؟

لأن الله يقرر في هذه الآيات الكريمة أنه سبحانه وتعالى ما فرض القبلة شطر المسجد الأقصى إلا ... ليختبر صدق إيمان أتباع الرسول حيث .

وهذا منطقي مع مفهوم الآية حيث يقول الله تعالى :

﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ ﴾ (البقرة ١٤٢)

﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ ﴾ (البقرة ١٤٣)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ ﴾ (البقرة ١٤٣)

يوضح لنا بجلاء أن الذين تولوا عن قبلتهم، والذين هدى الله، والذين قبل الله صلاتهم شطر المسجد الأقصى هم فقط الذين عاصروا القبليتين، وهم فقط المعنيون بهذا الاختبار؛ ليبينوا صدق إيمانهم بالامتثال لطاعة الله والتحول عن القبلة التي فرضها الله لهذا الغرض وليس سواهم ، وهم فقط المعنيون بجعلهم ضمن الأمة الوسط .

هذا من جانب أسباب النزول ...

ثالثاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط من الجانب اللغوي

متن اللغة العربية

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدْنَهُمْ عَنْ قِبَلْتُمْ آلَتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ
يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٢﴾ (البقرة ١٤٢-١٤٣)

إن محور فهم هاتين الآيتين يرتكز على شرح قول الله تعالى " وكذلك " وقوله
تعالى " وسطاً "

و ك ذ ل ك

الواو : استئنافية.

الكاف : كاف التشبيه بمعنى مثل.. حرف مبني على الفتح في محل رفع.

ذا : اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

اللام : للبعد.

الكاف : للخطاب.

كذا : تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما:

كاف : التشبيه. ذا : الإشارية.

نحو: رأيت زيدا فاضلاً ورأيت عمراً كذا

إذن " فكذلك " هنا تعني أن الله سبحانه وتعالى يشبه لنا :

(١) ما حدث للمسلمين عند التحول للقبلة الثانية ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي

كانوا عليها ﴾

يشبهه:

(٢) بما يحدث لجعلهم أمة وسطاً، ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

﴿ فما الذي حدث للمسلمين عند التحول للقبلة الثانية ؟

اختبرهم الله وابتلاهم بما قاله السفهاء عندما أمرهم بالتحول عن القبلة الأولى إلى القبلة الثانية لمعرفة صدق إيمانهم بهدايتهم للامتثال لطاعته.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ
عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٣)

ومثل هذا يجعلهم الله أمة وسطا

أي بالمثل يختبرهم ويبتليهم لمعرفة صدق إيمانهم ثم يهديهم للامتثال لطاعته ويجعلهم أمة عدلا ليكونوا شهداء على الناس لأن الشاهد على الناس مُمَيِّز عنهم بصدق الإيمان وبالعدل .

أما الطريقة المثلى والمبسطة لشرح " كذلك " فهي بتطابق الآيات البينات لأن

القرآن الكريم يشرح بعضه بعضا حتى من الناحية اللغوية مثال لذلك :

قول الله تعالى :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أُنَىٰ يُكُونُ لِي وُلْدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۗ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران ٤٧)

" فكذلك " تبين لنا التشابه في المعجزة الإلهية التي تحدث حسب إرادة الله كيفما يشاء.

وبالمثل قول الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

(فاطر ١٠٩)

" فكذلك " تبين لنا التشابه بين النشور للحلق يوم القيامة وطريقة إحياء النبات من الأرض الميتة.

مصداقا لحديث الرسول ﷺ :

" ينزل الله من السماء ماء فتنبتون كما ينبت البقل " ^١

صدق رسول الله ﷺ

وبالمثل قول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

(الزخرف ١١١)

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

وَكَذَٰلِكَ

مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

(الزخرف ١١٢-١١٣)

" وكذلك " تبين لنا التشابه بين أقوال الكفار في عهد الرسول ﷺ وعهد ما سبقه

^١ البخاري (كتاب التفسير، باب يوم نفخ في الصور) جزء ٨ ، ص ٦٨٩ . و مسلم (كتاب الفتن، باب ما بين النفتين)

جزء ٤ ، ص ٢٢٧٠ .

من المرسلين.

فكما ترى في هذه الآيات قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾

﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾

﴿ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾

يفسر الله لنا كيف يخلق ما يشاء، وكيف النشور والخروج من الأرض يوم القيامة، وكيف تماثل ما قاله الكفار للرسول، وكيف يجعلنا أمة وسطا بالتشابه مع الصورة الموضحة والحدث الواقع قبل قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾.

إذن يجعلهم الله أمة وسطا بعد الامتحان والابتلاء ليعلم الله الذين امتثلوا لطاعته ويختارهم ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة تماما وتشابها مع اختبار الله للمسلمين عند التحول عن القبلة لمعرفة صدق إيمانهم. وهذا المثل الذي ضربه الله لنا معني^١ به الذين عاصروا القبليتين وتحولوا في صلاتهم شطر المسجد الحرام.

لذلك يوضح الله لنا قانونه العام لاختيار الشهداء على الناس بقوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

أي أن الله يختبر الناس أولا ليعلم صدق إيمانهم ثم يتخذ منهم الشهداء على الناس يوم القيامة.

ولأن القرآن يشرح بعضه بعضاً فنرى تطابقاً بين هذه الآية " ١٤٠ " من سورة آل عمران وبين الآية " ١٤٣ " من سورة البقرة هكذا:

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران ١٤٠)
(يقابلها)

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۗ﴾ (البقرة ١٤٣)
لأن المعنى في الآيتين:

ابتلاء الله للناس بالسراء والضراء وتمحيص قلوب الذين آمنوا.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران ١٤٠)
(يقابلها)

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة ١٤٣)
لأن المعنى في الآيتين:

اختيار الله الشهداء بعد الاختبار.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ١٤٠)
(يقابلها)

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة ١٤٣)
لأن المعنى في الآيتين:

أن الشاهد يجب أن يتصف بالعدل (وسطاً أي عدلاً) لا أن يكون من الظالمين.
إذن يجعلنا الله أمة وسطاً بعد الامتحان والابتلاء ليعلم الله الذين امتثلوا لطاعته

ويختارهم ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة، تماما وتشابها مع اختبار الله للمسلمين بالتحول عن القبلة لمعرفة صدق إيمانهم .

اعتبر بعض المفسرين ﴿ وكذلك ﴾ بمعنى " أيضا " أي كما هداكم للصراط المستقيم جعلكم أيضا أمة وسطا.

وكما نرى أن هذا التفسير لم يستوضح التشابه في الحدث لأن " كذا " لغويا مكونة من كلمتين باقيتين على أصلهما:
" كاف " التشبيه.
" ذا " الإشارية.

رب قائل يقول : إن التشابه هنا بين هدايتهم وجعلهم أمة وسطا، بمعنى كما هداكم جعلكم أمة وسطا.

والواضح أن الهداية هنا كانت لانضمامهم للأمة الوسط... ولكن بعد الابتلاء. إذن فالله سبحانه وتعالى يشبه لنا الطريقة المتبعة لهداية الناس للانضمام للأمة الوسط وذلك بابتلائهم أولاً...

كأن الله تعالى يعلمنا أنه بالابتلاء هكذا يهديكم الله يجعلكم ضمن أمة الشهداء على الناس.

ولتأكيد هذا المعنى يوضح الله لنا بصفة عامة كيف يختار الشهداء على الناس بقوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾

(آل عمران ١٤٠)

كما رأينا تطابقها مع الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

قول الله تعالى : ﴿ وَسَطًا ﴾

الوسط والوسطية في القرآن والسنة ولغة العرب

جاء ذكر كلمة وسط في كتاب الله الكريم في خمس آيات:

في آيتان منها : الوسط فيهما بمعنى بين طرفين أو محاط من حوله:

١- ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ﴿٢٣٨﴾

(البقرة ٢٣٨)

(أي صلاة العصر التي تتوسط الخمس صلوات)

٢- ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤٠٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ ﴿٤٠٥﴾

(العاديات ٤٠٤-٤٠٥)

(أي جعلوه وسطاً بينهم.)

وفي لغة العرب يقال: وسط قومه : خيارهم = حسيب قومه (لأنهم يلتفون حوله)

وفي آية واحدة : الوسط فيها بمعنى الاعتدال أي جعل الاختيار بين الرديء والجيد ، وعدم المبالغة في التصرف:

٣- ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ ﴿٠٨٩﴾

(المائدة ٠٨٩)

أي الطعام لا يكون مبالغاً في قيمته، سواء بالجودة أو بالضعف أي معتدل القيمة.

وبمعنى الاعتدال ذكر في كتاب الله الآيات الآتية :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ﴿٠١٨﴾

(لقمان ٠١٨)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ﴿١٧﴾

(الفرقان ٠٦٧)

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٦﴾

(الأعراف ٠٣١)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ ﴿٢٩﴾

(الإسراء ٠٢٩)

وفي آيتين : الوسط فيهما بمعنى العدل :

أي الشهادة بدقة والحكم بصرامة وقوة دون هوادة أو مجاملة لتحقيق شريعة الله بين الناس وإظهار الحق:

٤ - ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾

(القلم ٠٢٨)

(أوسطهم أي عدلهم)

٥ - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

(البقرة ١٤٣)

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ﴿١٤٣﴾

أمة وسطا أي أمة عدلاً.

في معنى العدل قال الله تعالى في آيات أخرى :

﴿ وَأَقْسَطُوا^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴾ ﴿٩﴾

(الحجرات ٠٠٩)

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا^ط وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ﴿١٥٢﴾

(الأنعام ١٥٢)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ^ط لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ^ط وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

(المائدة ٠٠٨)

شَنَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا^ط أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ^ط ﴾ ﴿١٠٨﴾

(المعارج ٠٣٣)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ﴿٧٦﴾

(الفرقان ٠٧٢)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ

الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ

أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلَوْرَأْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿١٣٥﴾

(النساء ١٣٥)

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۚ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ

فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ (النور ٠٠٢)

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ

جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةٌ أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٤﴾ (النور ٠٠٤)

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا ۗ مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٣٨﴾ (المائدة ٠٣٨)

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ ۗ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٢﴾ (النساء ٠٩٣)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ أَلْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ

بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَأَدَاءُ

إِلَيْهِ بِالْحَسَنِ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ

فكما نرى في هذه الآيات الكريمة أن العدل يقتضي الدقة في الشهادة والحكم دون مجاملة لشخص مرموق ذي سلطة أو لشخص متصل بذى قربي. وذلك لإحقاق عدل الله وشريعته بحزم في التنفيذ.

ونستخلص من ذلك أن كلمة (وسط) حملت في طياتها ثلاثة معانٍ مختلفة اختلافاً
بيناً لا تقارب فيه :

فالوسط بمعنى العدل : يعني الدقة والصرامة وبعدم المجاملة والرفقة ...
والوسط بمعنى الاعتدال : يعني عدم المبالغة :

- عند الاختيار ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

- عند التعامل مع الناس .

- عند التصرف فيما نملك .

والوسط بمعنى المكان : يعني تحديد الموضع بين طرفين أو محاط من حوله.

ولكن المفسرين خلطوا بين هذه المعاني في تفسير قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)

ففرق منهم يفسر قول الله تعالى ﴿ أمةً وسطاً ﴾ :

بمعنى أمة معتدلة، وهذا الاعتدال شبه لوجود الكعبة في وسط بقاع العالم ، ولأن شريعة الله بنيت على الوسطية.

والفريق الآخر يفسره:

بمعنى أمة عدلاً، ونسب ذلك للأمة المحمدية وكونها عدلاً من العدول لأن نبيها ﷺ خير الرسل والنبیین وأتمه خير أمة أخرجت للناس، والكتاب المنزل لها هو الشريعة الكاملة، رغم أن الله تعالى أمرنا بأن لا نفرق بين أحد من رسله وبأن لا

نزكي أنفسنا ؛ لأنه أعلم بمن اتقى .

خلاصة لذلك : فالوسط هنا بمعنى (العدل) يتطلب الدقة والصرامة .

أما أن نكون معتدلين في تطبيق الشريعة فهذا يعني التهاون في تطبيقها .

إذن فشتان بين : الوسط بمعنى العدل ،

والوسط بمعنى الاعتدال ،

والوسط بمعنى المكان .

لا ارتباط بينهم أو تقارب .

فلماذا نخالف تفسير الرسول ﷺ الذي وضح لنا بأن الأمة الوسط تعني الأمة

العدل ... وليست الأمة المعتدلة ، أو نسبة لموضع الكعبة وسط العالم ؛ لأن الأمر

يتعلق بقبلة الصلاة ...

رغم أن الله تعالى لم يقل : إن الكعبة في وسط العالم ، فأى نقطة في أي موضع

على الكرة الأرضية إذا توجه نحوها المسلمون في بقاع العالم تصبح وسطا بينهم .

وحتى لو أثبت العلم أن الكعبة المشرفة في وسط العالم فالتشابه يجب أن يكون في

المعنى لا في اللفظ .

فالكعبة جماد والوسط يعني موقع .

أما الأمة الوسط فالوسط هنا كما وضح لنا الرسول ﷺ يعني عدلا .

فلا يمكن أن نقول لأن الكعبة في الوسط فالأمة تكون عدلا ، فليس هناك أي تشابه

في المعنى ...

وفسروا قول الله تعالى ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . بمعنى : أمة معتدلة ، رغم أن الرسول ﷺ

قد فسر لنا هذه الآية في أكثر من حديث صحيح بقوله ﷺ : (وسطا أي عدلا)

لأن المطلوب من الشهداء على الناس أن يكونوا عدولا "من العدل" ، ولو على

أنفسهم والأقربين ، لا معتدلين أي غير متطرفين .

لأن العدل في الشهادة يفرق بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، أما الاعتدال
فلا يميل لليمين ولا الشمال ، وبذلك لا يفصل بين الحق والباطل.
هذا من الناحية اللغوية.

رابعاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط من الجانب العقائدي

أسس العقيدة الإسلامية

إن شرح أو تفسير أية آية لا يجوز أن يتعارض مع مضمون آيات أخرى ، بل يتوافق توافقاً تاماً معها ؛ لأن قانون الله واحد في كتابه العزيز .

ومن هنا نستنتج تعارضاً بين هذه التفسير والآيات الكريمة الآتية:

أولاً : قول الله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ ۗ ﴾
(الحجرات ١٣٠)

فالتقوى هي الميزان الوحيد الذي يميز الله به بين عباده وليس تحويل القبلة أو موقعها؛ لأن الله تعالى يقول:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾
(البقرة ١٧٧)

يقول الله تعالى : إن المتقين هم الذين صدقوا في هذه العبادات .

إذن فهذا الميزان فقط (التقوى) يميز الله بين العباد، وليس البر بالتحويل عن القبلة ولكن البر بالامتثال لطاعة الله .

ثانيا : قول الله تعالى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (النجم ٣٢٠)

فالتقوى هي الميزان الوحيد الذي يزكي الله به بين عباده ، ولما كان حكم الله علينا بباطننا وما تكنه الصدور لا بالظواهر، فالله وحده الأعلّم بمن اتقى، فلا مجال إذن بأن نزكي أنفسنا عن الآخرين .

فلا يعقل أن يأمرنا الله بأن لا نزكي أنفسنا ثم يزكينا عن عباده أجمعين ويجعلنا شهداء عليهم لمجرد تغيير القبلة والتوجه نحو الكعبة المشرفة في وسط بقاع العالم سواء كنا متقين له أو غير متقين.

ولو كان اتخاذ الكعبة المشرفة قبلة هو الذي يزكينا لكان الأحق بذلك من سبقونا من الرسل وخاصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بانيي الكعبة ومطهريهما للطائفين والعاكفين والركع السجود ومن تبعهما في ذلك .

وفي هذا الصدد قال رسول الله ﷺ : (عن محمد بن عمرو بن عطاء) قال : سميت ابنتي برّة ؛ فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله ﷺ نهي عن هذا الاسم وسميت برّة فقال رسول الله ﷺ : " لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم " .

فقال : بم نسميها ؟ قال : "سموها زينب" .^١

فكما نرى حتى مجرد التسمية التي تحمل تزكية للفرد عن الآخرين نهي عنها الرسول ﷺ . فما بالكم أن تزكي أمة بكاملها على سائر الأمم الإسلامية السابقة لها بأن يكونوا جميعا أبرارا . مما يدل على أن قول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١١٠) لا يعني تفضيل أمة إسلامية على الأمم الإسلامية الأخرى.

^١ مسلم (كتاب الآداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة) جزء ٣ ، ص ١٦٨٨ .

ثالثا :

فكما رأينا أن التحول عن قبلة المسجد الأقصى إلى قبلة المسجد الحرام كان اختبارا لأتباع الرسول ﷺ حينئذ ، وهداهم الله للامتثال لطاعته ، فليس من حقنا أن ننسب هذا الفضل والهدى لأنفسنا، رغم أننا لم نتعرض لهذا الاختبار ولو فعلنا لحق علينا قول الله تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ١٣٤)

فهذه الآية أنزلها الله مرتين ليذكر اليهود والنصارى لادعائهم أنهم الأحق بالاتباع من محمد ﷺ ؛ لأن أجدادهم أنبياء ورسل وصالحون، فذكرهم الله بأن لا ينسبوا لأنفسهم فضل هؤلاء الأجداد لأن الله يوم القيامة لن يجازيهم على حسنات هؤلاء الأجداد ولن يعاقبهم على سيئاتهم، بل يحاسبهم فقط على ما اقترفت أنفسهم من خير أو شر.

وبالمثل كيف نكون أمة وسطا أي عدلا ونحن لم نتعرض لاختبار التحول عن القبلة الذي تعرض له أجدادنا في عهد الرسول ﷺ ؟

رابعا :

وكما أمرنا الله بأن لا نزكي أنفسنا عن سائر المسلمين لأنه أعلم بمن اتقى فقد أمرنا كذلك بأن لا نفرق بين أحد من رسله :

﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۚ

وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا

يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام.^١

(صدق رسول الله)

ولأن ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ جميع أفرادها بدون استثناء زكاهم الله وفضلهم على سائر الناس، وهذا الأمر لا يمكن أن يكون في أمة إسلامية واحدة لأن كل أمة خليط من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقين.

خامسا :

لما قال الله تعالى لبني إسرائيل :

﴿ يَبْنَى إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَيَّ

الْعَلَمِينَ ﴿٤٧﴾ (البقرة ٠٤٧)

ظن اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا. ونسوا أن الله رغم أنه فضلهم على العالمين بما آتاهم من نعم وقدم لهم من آيات معجزات حذرهم من يوم الحساب بقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ

مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ (البقرة ٠٤٨)

وبين لهم أنه رغم هذا التفضيل فلن يجابيهم ولن يميزهم عن الخلق يوم القيامة.

وكذلك قالت النصرى مثل قولهم:

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ

^١ البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء / أن يونس من المرسلين) جزء ٦، ص ٤٥٠.

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ (البقرة ١١١)

واليوم ومنذ قرون مضت نقول نحن المسلمين من الأمة المحمدية :
نحن خير أمة أخرجت للناس؛ لأن الله ميزنا عن سائر الأمم باتخاذ الكعبة
المشرفة قبلة لنا، وسيجعلنا يوم القيامة شهداء على الناس كافة لأن سائر الأمم
معترفة لنا بالفضل، فبيننا سيد البشر يوم القيامة وكتابنا هو الشريعة الكاملة.

وماذا يقول الله لنا جميعا مسلمين ونصارى ويهود؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا تَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

(النساء ١٢٣-١٢٤)

صدق الله العظيم

عندما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه : " جاءت قاصمة الظهر "

وقال الرسول ﷺ : " إنما هي المصيبات في الدنيا " ^١

قيل إن المقصود بقول الرسول ﷺ إن الله سبحانه وتعالى خص المسلمين دون
سواهم بأن الصابرين منهم في البأساء والضراء وحين البأس يمحو الله بصيرهم
الذنوب ، أما الآخرين لا يمحو الله بها ذنوبهم لأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن
يشاء إلا الشرك به .

وهكذا يتضح لنا أن :

المعنيّ بهذه الآيات من سورة البقرة (١٤٣:١٤٢) هم فقط أتباع الرسول ﷺ

^١ تفسير الطبري (جزء ٥، ص ٢٩٦) سورة النساء ١٢٣.

الذين عاصروا القبليين، وتعرضوا لسخرية السفهاء، وامتلوا لطاعة الله فجزاهم الله بجعلهم ضمن شهداء الأمة الوسط التي تشهد على الناس يوم القيامة ويكون الرسول ﷺ عليهم شهيدا.

وهذا الجزاء خصهم الله سبحانه وتعالى به وليس لمن سبقهم أو جاء من بعدهم من المسلمين ولم يعاصروا القبليين ولم يتعرضوا لهذا الاختبار.

سادساً :

إن اعتبار المفسرين أن الأمة المحمدية ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ يتعارض مع أحاديث الرسول ﷺ الآتية :

١ - " لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".^١

٢ - " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة".^٢
(صدق رسول الله ﷺ)

وهذا يعني أن الله يفضل بين الناس بميزان واحد هو التقوى، وأنه هو الذي يركي بين الناس بعلمه خبايا النفوس لا بما يبدو ظاهراً منهم للناس. وهذا يعني كذلك أن الأمة المحمدية شأنها شأن جميع الأمم الإسلامية السابقة يدخل الله منهم النار أناساً حتى لو كان عملهم يبدو للناس أنهم من أهل الجنة وليس لأنهم من أمة محمد فضلوا على جميع الأمم السابقة.

٣ - " خيركم قرني ، ثم الذين يلونكم ، ثم الذين يلونكم ، ثم يكون بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن".^١

^١ مسند أحمد (جزء ٥، ص ٤١١) إسناده صحيح.

^٢ البخاري (كتاب الجهاد، باب لا يقول فلان شهيد) جزء ٦، ص ٨٩.

فهل تنعت خير أمة أخرجت للناس بهذه الصفات ...؟ حاشى الله ..

أما عن المقولة بأن قول الله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ رغم أن ﴿ كُنْتُمْ ﴾ ترمز للماضي فهي تعني أنتم خير أمة

تماماً مع كنتم خير الرجال ، ومن ذلك تكون الأمة المحمدية هي خير أمة.

فهذه المقولة لا تتفق مع تحديد ووصف الله تعالى لهذه الأمة بأنها كانت تأمر

بالمعروف وتنهى عن المنكر.. لذلك فقط كانت خير أمة أخرجت للناس..

ولأن الله تعالى خلق للخير أهلاً وللشر أهلاً ، فلا توجد أمة من الأمم

الإسلامية منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا كانت بكاملها تأمر

بالمعروف وتنهى عن المنكر، أو كانت بكاملها من أهل الخير أو من أهل الشر.

ففي الأمة الواحدة، بل وفي الأسرة الواحدة، نجد من يأمر بالمعروف ومن يأمر

بالمنكر. وبمنظرة والتفاتة إلى حال الأمة المحمدية حالياً يظهر لنا بوضوح غير قابل

لالتباس بأنها ليست الأمة الموصوفة في هذه الآية؛ لأنها لا تأمر بالمعروف ولا

تعمل به، وأنها لا تنهى عن المنكر وتأتي به. تماماً كما تنبأ بها ووصفها

الرسول ﷺ في حديثه الصحيح.

٤ - " توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال

قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير

ولكنكم كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة

منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . قال قائل : وما الوهن يا رسول

الله ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت. " ٢

● فلنتساءل ... هل هذا الغثاء الذي ينزع الله من صدور عدوهم المهابة

١ البخاري (كتاب الشهادات / لا يشهد على شهادة جور) جزء ٥ ، ص ٢٥٨ .

٢ مسند أحمد (جزء ٥ ، ص ٢٧٨) وإسناده صحيح.

منهم وليقذفن الله في قلوبهم حب الدنيا وكراهية الجهاد في سبيل الله (الموت).

هل هؤلاء يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر...؟

هل هؤلاء خير أمة أخرجت للناس...؟

هل هؤلاء الأمة العدل " الأمة الوسط " التي اختارها الله بعد تمحيص وابتلاء

ليشهدوا على الناس كافة وعلى الرسل والنبين ويكون الرسول عليهم شهيدا ؟

الجواب :

لا... ثم ... لا...

وهذا لا ينفي وجود فئة قليلة منهم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مصداقا

لقوله ﷺ :

" لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " ^١

مما يوضح لنا بجلاء خاصية هذه الأمة المنتقاة والمؤلفة من خير الناس في كل

الأمم الإسلامية منذ آدم حتى البعث ، والتي كان أعضاؤها يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر في عهد كل رسول وكل نبي وفي كل زمان وليس في عهد نبي واحد.

وحتى في عهد الرسول ﷺ فلم يكن المسلمون جميعا يأمرن بالمعروف وينهون

عن المنكر بل كان منهم الصادقون في إيمانهم ويتبعون الرسول بإخلاص وتفانٍ ،

وكان منهم المسلمون ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ويتبعون الرسول ﷺ بنفاق

ويحشون نزول الآيات الداعية للجهاد ويتهربون ويعتذرون إذا ما دعوا لذلك.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا

^١ البخاري (كتاب فرض الخمس، باب اى لله حمسه وللرسول) جزء ٦، ص ٢١٧.

الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾

(محمد ٠٢٠-٠٢١)

ولو كانت الأمة المحمدية كاملة خير أمة أخرجت للناس لما قال الله تعالى

لرسوله الكريم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء ٢١٤)

ولما قال الرسول ﷺ لعشيرته الأقربين:

"أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" ^١

ولأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام ١٦٤)

فهذا يعني أن كل إنسان مسئول عن ما اقترفت يدها ويحاسب عليه ولا تنسب له حسنات وسيئات ما اقترفت أمته.

● إذن فالله سبحانه وتعالى يفرق بين الفرد والفرد من أي أمة كانت بمقياس

واحد ألا وهو التقوى، لا بين أمة وأمة، فكل يعمل على شاكلته فربكم

أعلم بمن هو أهدي سبيلا.

لأن كل أمة خليط من هذا وذاك....

مما يؤكد لنا خاصية هذه الأمة التي وصفها الله بأنها "خير أمة أخرجت للناس"

من كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من خلق الله كافة منذ خلق الله آدم

حتى البعث. مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف ١٨١)

صدق الله العظيم

^١ مسلم كتاب الإيمان باب انذر عشيرتك جزء ١ ص ١٩٢

.... وختاماً

أما آن للسادة العلماء والمفسرين والمهتمين بالدراسات القرآنية أن يتبينوا حقيقة

الأمة الوسط

فالأمة المحمدية شأنها شأن جميع الأمم الإسلامية السابقة لها ليست بالأمة

الوسط وليست بخير أمة أخرجت للناس، كما وضحنا من قبل واستخلصنا أن الأمة

الوسط ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ مؤلفة من شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث

والرسول ﷺ (خير البشر) وسيد بني آدم يوم البعث وهو الشاهد على الأمة الوسط

وزعيمها ...

تشریف اللہ للأمة الوسط

**** شرح ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١١٠) ****

أما عن قول الله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾
(آل عمران ١١٠)

لتحديد من هم خير أمة أخرجت للناس فلتتبع قول الله تعالى في الآيات السابقة
لهذه الآية (١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧) :

١- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
(آل عمران ١٠٢)

فالدعوة الأولى للذين آمنوا :

أن يتقوا الله حق تقاته في حياتهم
وأن لا يموتوا إلا على الإسلام.

٢- ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
(آل عمران ١٠٤)

والدعوة الثانية للذين آمنوا :

أن تنضم فئة منهم إلى الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ

أُمَّةٌ ۚ ﴾ أي : ولتكن منكم فئة مميزة عن الجميع بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ ﴾ أي : المميزون.

ولماذا الدعوة الأولى والثانية...؟ لأنه :

﴿ ٣ - يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

(آل عمران ١٠٦)

(أي يوم القيامة)

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِىهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

(آل عمران ١٠٧)

(يوم القيامة)

أي الذين اتقوا الله حق تقاته وماتوا على الإسلام، وكذلك الأمة، أي الفئة، التي كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر جميعهم تبيض وجوههم يوم القيامة ويدخلون في رحمة الله أي في الجنة خالدين فيها أبداً ، ويوم القيامة ينعت الله هذه الفئة " الأمة " من المسلمين التي كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بقوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

لماذا كانوا خير أمة...؟

يقول الله تعالى :

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

إذن فخير أمة أخرجت للناس هم هذه الفئة من المؤمنين الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وليست الأمة الإسلامية قاطبة العامة لأن الله يقول

﴿ولتكن منكم...﴾ أي لستم جميعا بل فئة منكم.

ويعنى آخر ...

فمن لم يكن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ليس من هذه الأمة الخاصة

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

**** شرح ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً ﴾ (الأعراف ١٨١) ****

وخير أمة أخرجت للناس مؤلفة من المسلمين منذ آدم حتى البعث الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في عهد كل نبي ورسول، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١)

وممن خلقنا : أي من خلق الله كافة منذ آدم حتى البعث .

أمة يهدون بالحق : أي فئة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وسماهم الله :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

وبه يعدلون : أي أمة عدل.

وسماهم الله ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

ويمكن تفسير هذه الآية الكريمة هكذا :

إن خير أمة أخرجت للناس هي الأمة الوسط مؤلفة من خير خلق الله الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر منذ آدم حتى البعث .

قال قتادة : بلغني أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية: هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩)

وهذا يعني أن الرسول ﷺ تنبأ لأصحابه رضوان الله عليهم بأنهم ضمن

﴿ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لأنهم يهدون بالحق وبه يعدلون ، وكذلك الحال

في الأمم الإسلامية السابقة، فمثلا من أتباع موسى عليه السلام هناك فئة يهدون

بالحق وبه يعدلون أي ضمن ﴿ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وليوضح لنا الرسول ﷺ خاصية هذه الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر أي ﴿خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يقول ﷺ في أحاديثه الصحيحة :

- (١) " إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم متى نزل " .^١
(٢) " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " .^٢
(٣) " لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " .^٣
فقول الرسول ﷺ في هذه الأحاديث :

- إن من أمتي قوما ...

- لا تزال طائفة من أمتي ...

- لا تزال من أمتي أمة ...

يفرق لنا بجلاء بين الأمة الإسلامية العامة منذ عهده ﷺ والأمة الخاصة :

﴿ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ أي " الأمة الوسط " أي الذين يهدون بالحق وبه يعدلون .

وهنا أتعرض للتفاسير في قول الله تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١)

تقول التفاسير :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً ﴾ المراد بهذه الأمة حسب ما ورد في الآثار : الأمة المحمدية:

^١ تفسير ابن أبي حاتم (جزء ٥، ص ١٦٢٣) تفسير سورة الأعراف ١٨٠.

^٢ البخاري (كتاب المناقب، باب حدثنا محمد) جزء ٦، ص ٦٣٢، مسلم (كتاب الإمامة لا تزال طائفة من أمتي) جزء ٣،

ص ١٥٢٤.

^٣ البخاري (كتاب المناقب باب حدثنا محمد) جزء ٦، ص ٦٣٢.

التعليق :

لو كان المقصود بالأمة الحمدية (الأمة الحمدية العامة) أي جل المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ حتى البعث ...

- فهذا التفسير يتعارض مع قول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩)

لأن هذا يعني أنه من قوم موسى عليه السلام بالمثل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وليس فقط من الأمة الحمدية العامة.

- ويتعارض مع حديث الرسول ﷺ :

" هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها " ١

أي : كما هو الحال في الأمة الحمدية العامة، كذلك الحال في كل الأمم الإسلامية السابقة في كل منها فئة أو أمة ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ وقول الله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ مُطْلَقَةً تعم خلق الله كافة منذ آدم حتى البعث، أما قوله تعالى ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ فهي محددة للأمة الإسلامية في عهد موسى عليه السلام.

وقول الله تعالى : ﴿ أُمَّةٌ ﴾ تعني فئة خاصة من الأمة العامة مصداقا لقوله ﷺ :

" إن من أمتي قوما ... "

" لا تزال طائفة من أمتي ... "

" لا تزال من أمتي أمة .. "

أي أن من أمة محمد العامة منذ عهده هناك أمة خاصة مميزة تدعو بالحق وبه تعدل. أما إن كان المقصود في الآثار أن هذه الأمة : التي تهدي بالحق وبه تعدل هي أمة

١ تفسير الطبري (جزء ٩، ص ١٣٥) سورة الأعراف ١٨١.

محمد الخاصة، فإن ذلك يعني "الأمة الوسط" ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وهذا دليل وبرهان على أن أمة محمد الخاصة هم خير خلق الله منذ آدم حتى البعث . وهم الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وبه يعدلون في عهد كل نبي ورسول منذ آدم حتى البعث.

وكما يكون الرسول ﷺ يوم القيامة سيد الخلق أجمعين تكون هذه الأمة خير الخلق أجمعين، وهم طبعا السابقون من كل الأمم المعفون من الحساب يوم القيامة والمقربون لله عز وجل، فلا هم عن يمين العرش ولاهم عن شمال العرش بل كما يقول الرسول ﷺ :

" أنا وأمتي يوم القيامة على كور مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا. وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه عز وجل ذلك قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وسطا قال : عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ^١ (صدق رسول الله)

فهذا الحديث يصف لنا الأمة الخاصة يوم القيامة المؤلفة من جميع الشهداء منذ آدم حتى البعث مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥١﴾
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ

اللَّهُ حَدِيثًا ﴿٥٢﴾ (النساء ٥١-٥٢)

فقول الله تعالى هنا :

﴿ جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥١﴾ ﴾

يتطابق مع قوله تعالى :

^١ تفسير الطبري (جزء ٢، ص ٨) سورة البقرة ١٤٣.

﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

(البقرة ١٤٣)

شُهَدَاءً ﴿

هكذا كما يلي:

سورة البقرة ١٤٢

يقابلها

سورة النساء ٤١

﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴿

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿

﴿ وَجَعَلْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿

مما يدل دلالة قاطعة أن أمة محمد الخاصة هم شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث.

قال الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا

ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿

(آل عمران ٥٢-٥٣)

سئل ابن العباس - رضي الله عنهما - عن قول الله تعالى : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ ﴾ فقال : مع أمة محمد . مما يؤكد ما سبق ذكره .

وهنا أتعرض مرة أخرى للتفسير :

في كتاب التفسير من صحيح البخاري، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس

: ٢٢٤/٨

"حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة
-رضي الله عنه - :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في
الإسلام".

فهنا نتساءل ...؟

هل يمكن اعتبار هذا التفسير صحيحا رغم تعارضه لصريح الآيات البينات
ولآداب الدعوة الإسلامية ؟ وهل يعقل أن يخالف الرسول ﷺ ما أمر الله به صراحة
في آياته البينات ؟... فحذار من الإسرائيليات وحذار من التفسير بالرأي.
واكتفى بسرد الآيات البينات... التي تتعارض مع هذا التفسير... دون
التعليق وللقارئ الكريم استنباط الحقائق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنعام ٦٨-٦٩)

(٢) ﴿ أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ

عَلِمَ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(الأنعام ١٠٦-١٠٨)

(٣) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

(البقرة ٢٥٦)

(٤) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(الكافرون ٠٠٦)

(٥) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ

حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

(يونس ٠٩٩)

(٦) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

(القصص ٠٥٦)

(٧) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾

(الغاشية ٠٢١-٠٢٢)

أما عن قول الله تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

- هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

سَمَنَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

وَفِي هَذَا

- لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿٧٧-٧٨﴾

(الحج ٠٧٧-٠٧٨)

من تمنع في هذه الآيات الكريمة تبينت له المراحل الآتية :

أولا : دعوة الله للذين آمنوا بالركوع والسجود وعبادة الله وفعل الخير والجهاد في سبيله حق الجهاد، أي اتباع الدين الحق ؛ لعلهم يفلحون.

ثانيا : تقييم الله سبحانه وتعالى لمن قبل هذه الدعوة ومارسها ﴿ هُوَ أَجْتَبَنُكُمْ ﴾ والدين هنا يعبر عن هذه العبادات المذكورة . وليس عليكم حرج أي لا يكلف الله نفسا إلا وسعها في هذه العبادات .

ثالثا : الجزاء للصادقين في هذه العبادات.

﴿ وَفِي هَذَا ﴾ أي واتباع هذه العبادات يجعلكم ضمن الأمة الوسط " العدل " لماذا ..؟

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم.

إذن فقول الله تعالى : ﴿ هُوَ أَجْتَبَنُكُمْ ﴾ لا يعني أن الله اجتبي الأمة المحمدية العامة قاطبة، بل اجتبي هؤلاء الصادقين في الامتثال لطاعته بالركوع والسجود والعبادة وفعل الخير والجهاد في سبيله حق الجهاد ، لأن الله تعالى بقوله : ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يشترط اتباع أوامره هذه حتى يكونوا شهداء على الناس.

والاختلاف في التفاسير كان في قول الله تعالى :

﴿ هُوَ أَجْتَبَنُكُمْ ﴾ ... ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ ﴾ ... ﴿ وَفِي هَذَا ﴾

﴿ هُوَ أَجْتَبَنُكُمْ ﴾ : لو اعتبرنا أن الله اجتبي الأمة المحمدية العامة كاملة، وفضلها على سائر الأمم الإسلامية من قبل فقد خالفنا أسس العقيدة الإسلامية المبنية على المساواة والعدل بين الناس.

فآيات الله البيّنات توضح لنا أن التقوى هي الميزان الوحيد الذي يفضل الله به بين الناس ، وأن هذا التفضيل يكون بين الأفراد لا بين الجماعات، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَرْزُقْ رِزْقًا وَرِزْقًا أُخْرَى ﴾ (الأنعام ١٦٤)

ومصداقا لحديث الرسول ﷺ :

" انقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم من الله شيئا " ^١ (جزء من حديث)
أما المقولة بأن الرسول الخاتم هو سيد البشر يوم القيامة، والكتاب الذي أنزل عليه " القرآن الكريم " هو الشريعة الكاملة . فهذا الأمر ليس بتشريف لأمة محمد العامة بقدر ما هو تكليف لها بثقل المسؤولية نحو كتاب الله الذي يشرف من اتبعه بصدق .

فالمرء كلما ازداد علما كلما ازداد مسئولية أمام الله، وفي النهاية كما قال الله تعالى:
﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِبًا عَنْهُ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾

(النساء ١٢٣-١٢٤)

إذن فالله تعالى يجتبي فقط الذين آمنوا واتبعوا العبادات المذكورة بالآية:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ^ج ﴿٧٨﴾

(الحج ٧٧-٧٨)

ولا يجتبي أمة بأكملها وفيها من هم من السابقين، ومن هم من أصحاب اليمين، ومن هم من أصحاب الشمال.

فالله تعالى لا يجتبي إلا الصادقين في إيمانهم حيث يقول جل من قائل :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣٩﴾ (آل عمران ١٣٩)

^١ مسلم (كتاب الإيمان، باب انذر عشيرتك) جزء ١، ص ١٩٢ .

ويقول تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

(آل عمران ١٤٢)

الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾

إِذْنٌ :

﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ مشروط بـ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ وَأَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ مشروط بـ : ﴿ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ ﴾

﴿ هُوَ آجَتِبَانِكُمْ ﴾ مشروط بـ : ﴿ أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا

الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ ﴿٧٨﴾ ... ﴿٧٨﴾

﴿ وَفِي هَذَا ﴾ فقط يضمكم الله للأمة الوسط:

﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (الحج ٠٧٨)

ولذلك يدعو الله الذين آمنوا بأن يكونوا من الذين اجتباهم الله بقوله تعالى :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تِحْرَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ (الصف ٠١٠-٠١٢)

ونلاحظ هنا التطابق بين الآيات في سورة الصف وسورة الحج.

سورة الحج ٧٧ - ٧٨

سورة الصف ١٠-١٢

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ يَقَابِلُهَا ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَّمِنُونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۖ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴿١٢﴾
أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا
رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي
اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴿٧٨﴾

(التطابق هنا هو دعوة الله للمؤمنين بتأدية الواجبات نحو الله على أحسن وجه)
(تجارة تنجيكم) = (لعلكم تفلحون)

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
أَلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿٧٧﴾
﴿ هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ لِيَكُونَ
يَقَابِلُهَا ﴾

(التطابق هنا أن الجزاء هو غفران الذنوب، أي يفضلهم على عباده كافة بالانضمام
إلى الأمة الوسط الشهداء على الناس ودخول الجنة بغير حساب)
ومن ذلك نستنتج أن الله لا يجتبي إلا المؤمنين القائمين بالطاعات والمجاهدين في
سبيله حق الجهاد.

والأمثلة كثيرة حتى بالنسبة للأنبياء والرسول يجتبيهم بعد أن يتليهم :

(١) ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ ۝٤٦﴾

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ^ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ (البقرة ١٢٤)

فهنا يتلى الله إبراهيم عليه السلام، وعندما ينجح في الابتلاء ﴿فَأْتَمَّهُنَّ﴾ يجتبيه الله ويجعله إماما للناس فيدعو الله أن يعم ذلك ذريته فيجيبه ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي يجتبي الله ذريته كذلك مستثنيا الظالمين منهم.

(٢) ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ (مریم ١١٦)

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (مریم ١٤١)

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ (مریم ٥١)

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ (مریم ٥٤)

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ^ع إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا

﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ

حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا

تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ

غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ (مریم ٥٦-٦٠)

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ (مریم ٦٣)

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٦٧﴾﴾

(مریم ٩٧) صدق الله العظيم

فلننظر بامعان في هذه الآيات ونتفهم جيدا كيف يجتبي الله عباده .

ولنتساءل... هل نحن أتباع محمد ﷺ مختلفون عنهم؟

فالله سبحانه وتعالى هداهم واجتباهم، ولكن الخلف من بعدهم سوف يلقون غيا؛ لأنهم أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ولن يدخلوا الجنة إلا إذا تابوا وعملوا صالحا ...

إذن فالله لا يجتبي إلا الذين اتبعوا الدين والطاعات كما هو موضح في سورة

الحج.

هو سماكم :

قال ابن أسلم: الضمير (هو) يعود إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ (البقرة ١٢٨)

أي أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - هو الذي طلب من الله أن يجعله وأتباعه مسلمين له .

وقال ابن العباس : الضمير (هو) يعود إلى الله - عز وجل - .

التعليق : تأويل ابن العباس - رضي الله عنهما - هو التأويل السديد لأنه يتوافق مع آيات الله الآتية:

١ - ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران ١٩)

٢ - ﴿ وَلَهُدَّ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران ٨٣)

٣ - قول نوح عليه السلام وهو رسول من قبل إبراهيم :

﴿ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس ٧٢)

٤ - ومن بعده إبراهيم عليه السلام :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس ١٠٦) وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ (البقرة ١٣١-١٣٢)

إذن فالإسلام لم ينشأ في عهد إبراهيم، أو عهد محمد صلوات الله عليهم جميعا. بل هو دين الله منذ خلق الله السماوات والأرض كما هو موضح بالآيات السابقة. فالرسول ﷺ لم يأت إلا مكملا ومتمما للدين لا منشئاً له:

كما في الحديث الصحيح :

" مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة" ^١

(صدق رسول الله)

أي أن كل الأنبياء جاءوا جميعا لبناء شريعة الله الإسلام، والرسول ﷺ جاء مكملا ومتمما لها.

أما المقولة بأن الله سمي أمة محمد ﴿ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ في كل الكتب السماوية ، وكذلك في هذا أي ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ القرآن كما يقولون .

فأرى هذه المقولة عجيبية وباعثة للاستغراب.... والتساؤل :

﴿ ﴾ فهل سمي الله المؤمنين منذ آدم، وفي عهد أي رسول أو نبي بغير المسلمين حتى يميزنا بهذه التسمية ؟

والمقصود من قوله تعالى ﴿ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي منذ الأزل.

فكل من آمن برسول أو نبي واتبعه فهو من المسلمين لأن جميع الرسل والأنبياء دعوا الناس بدعوة الإسلام والتوحيد كما سبق ذكره.

أما أهل الكتاب فكانوا من قبل مسلمين وضلوا وقالوا إنا هودا، وإنا نصارى،

^١ رواه مسلم (كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين) جزء ٤، ص ١٧٩٠.

وتنكروا للرسول النبي الأمي المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

وهنا أسجل عميق أسفي لما أسمع من السادة العلماء عندما يقولون : " الأديان السماوية " كأن الله تعالى أنزل من السماء أديانا مختلفة آخرها الدين الإسلامي .
وللرد عليهم أذكرهم فقط بآيات الله الكريمة الآتية:

(١) ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾

(يونس ٠٨٤)

﴿ ٢ ﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴿

(آل عمران ٠٥٢)

فهل كان موسى وأتباعه هودا أم مسلمين...؟

وهل كان عيسى وأتباعه نصارى أم مسلمين...؟

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران ٠١٩)

" فلا دين سماويًا غير الإسلام "

اللهم قد بلغت .. اللهم فاشهد.

﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ :

الإشارة هنا تعود إلى اتباع العبادات المذكورة بالآية، أي اتباع الدين الحق؛ لأن الله يجتبي الذين آمنوا وامتثلوا لطاعته ويجازيهم بجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس. ولنذكر قول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

(البقرة ١٤٣)

وكذلك (أي بالمثل، بالاختبار، والابتلاء تشابها مع اختبار الله للمسلمين بتحويل القبلة) يجعلكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس كما وضحننا من قبل.

وخلاصة لذلك :

فالله سبحانه وتعالى باتباعكم الدين الحق والعبادات المذكورة بالآية واتخاذكم الإسلام ديناً اجتباكم وجعلكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

وليس لأنكم مسلمون يجتبيكم الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ۗ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات ٠١٤)

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۗ قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات ٠١٧)

إذن فالله لا يجتبي الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، أي ولم يتبعوا الطاعات المذكورة والتي هي شرط ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ ليكونوا ضمن الأمة الوسط التي ستشهد على الناس يوم القيامة. أما عن حديث الرسول ﷺ :

" يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت ؟ فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد... فيقال لنوح من يشهد لك، فيقول : محمد وأمته... قال فذلك قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٤٣)

والوسط : العدل . فتدعون فتشهدون له بالبلاغ . ثم أشهد عليكم " ^١
(صدق رسول الله)

^١ البخاري (كتاب التفسير / وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) جزء ٨، ص ١٧١ .

عندما يقول الله لنوح عليه السلام : من يشهد ؟ أي من يقوم بالشهادة لك...

من طبيعة الحال الذين يشهدون هم الشهداء
وعندما يجيب نوح عليه السلام : محمد وأمه.

: أي محمد وأمة الشهداء.

: أي الأمة الوسط.

وبهذا يتضح لنا تحديد أمة محمد الخاصة، أمة الشهداء مصداقا لقوله تعالى :

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾

(النساء ٤١)

هذه هي أمة الشهداء، أي الأمة الوسط.

وهذا الأمر طبيعي ومنطقي؛ لأن أمة إسلامية في عهد أي رسول كانت ليست جميعها بشهداء، وكذلك بالمثل الأمة المحمدية، أي المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ حتى البعث ليسوا جميعا بشهداء.
لذلك يقول الله تعالى :

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿١٤٠﴾

فقول الله تعالى : ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي جميع الناس منذ آدم حتى البعث....
وكذلك يختار الله الشهداء من جميع الناس منذ آدم حتى البعث وليس من أمة إسلامية واحدة ، وهؤلاء الشهداء جميعا من كل الأمم يشكلون الأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس، وقد شرفها الله بجعل سيدنا محمد ﷺ الشاهد عليها لذلك عرفت عند كل الأنبياء منذ آدم بأمة محمد.

وفي هذا الحديث (الأمة الوسط) هنا تعني الأمة العدل المؤلفة من الشهداء على

الناس كما رأينا من قبل منذ آدم حتى البعث ... ولا تعني الأمة المحمدية العامة منذ عهد الرسول ﷺ إلى البعث.

ومن الواضح في الحديث أنه موجه لأصحاب الرسول ﷺ متنبئاً لهم بالانضمام للأمة الوسط يوم القيامة.

وكم من حديث شريف خص به الرسول ﷺ أصحابه - رضوان الله عليهم - واعتبره المفسرون عامّاً للأمة المحمدية قاطبة.

وهذا مثال لذلك :

عن أنس - رضي الله عنه - قال :

" مروا بجنازة فأتنوا على صاحبها خيراً، فقال النبي ﷺ :

" وجبت "، ثم مروا بأخرى فأتنوا عليها شراً فقال ﷺ :

" وجبت "، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ما وجبت...؟ قال :

" هذا أثنتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ... وهذا أثنتم عليه شراً فوجبت له

النار ... أنتم شهداء الله في الأرض." ^١ (صدق رسول الله)

ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ تنبأ لأصحابه بأن الله تعالى سيلحقهم بالأمة الوسط

شهداء الله في الأرض ، ولا يعني أن كافة المسلمين في الأمة المحمدية العامة شهداء

الله في الأرض، وإلا عم ذلك أصحاب الجنازتين فأحدهما من أصحاب اليمين

والآخر من أصحاب الشمال .

وهذا مثال آخر :

قال رسول الله ﷺ : "يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم." قالوا : بم يا

رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيئ .. أنتم شهداء الله في الأرض." ^٢

(صدق رسول الله)

^١ البخاري (كتاب الجنائز / ثناء الناس على الميت) جزء ٣، ص ٢٢٨.

^٢ المستدرک للحاکم، جزء ١، ص ١٢٠، و صححه.

إذن فلو كانت الأمة المحمدية العامة قاطبة شهداء الله في الأرض لما كان فيهم شرار لأن شرط الشهادة " العدل " .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)
(وسطا) قال (عدلا).

ومن ذلك نستخلص أن هذا الحديث موجه فقط للفئة التي حدثها الرسول ﷺ من أصحابه - رضوان الله عليهم - متبنا لهم بالانضمام " للأمة الوسط " .
وفي حديث آخر:

" أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة " فقلنا : وثلاثة ؟ قال : " وثلاثة " ،
فقلنا : واثنان ؟ قال : " واثنان " ، ثم لم نسأله عن الواحد^١
" أيما مسلم شهد له " :

يعني : أن هذا المسلم هو نفسه ليس من شهداء الله في الأرض، بل إما من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال، فإن شهد له بخير أدخله الله الجنة، وإن شهد له بشر أدخله الله النار . لأن للشهادة والشهداء شروطا تميزهم عن سائر المسلمين، بل وتعفيهم من الحساب يوم الدين .
وهذا مثال آخر :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال لنا رسول الله ﷺ :
" أنتم خير أهل الأرض " (يوم الحديبية) وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر
اليوم لأريتكم مكان الشجرة.^٢

وفي حديث آخر (عن سلمة بن الأكوع عن يزيد بن أبي عبيد) قال : قلت
لسلمة بن الأكوع : على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على

^١ البخاري (كتاب الجنائز / ثناء الناس على الميت) جزء ٣ ، ص ٢٢٩ .

^٢ البخاري (كتاب المغازي باب غزوة الحديبية) جزء ٧ ، ص ٤٤٣ .

الموت. (من الصحيحين)

إذن فضمن خير أهل الأرض هذه الفئة فقط التي بايعت الرسول على الاستشهاد في سبيل الله، والذين قال عنهم جابر : (إنهم كانوا ألفاً وأربعمائة) هؤلاء اجتباهم الله لأنهم أخلصوا في العبادة وجاهدوا في الله حق جهاده، وبشرهم الرسول ﷺ بأن الله سيكافئهم بجعلهم ضمن الأمة الوسط، خير أمة أخرجت للناس ليشهدوا على الخلق أجمعين يوم القيامة، ويسبقون بدخول الجنة بغير حساب .

وليس المقصود من طبيعة الحال الأمة المحمدية العامة قاطبة. فكما ترى أيها القارئ الكريم مكانة المسلمين عند الله ودرجتهم، وكيف اجتباهم وخصهم بالشهادة على الناس أجمعين إذا هم جاهدوا في الله حق جهاده وكانوا من المتقين.

لله فهم شهداء حق في الدنيا الصغرى .

لله وهم شهداء حق في الأمة الوسط بالدنيا الكبرى.

لله وهم شهداء حق يوم البعث .

والرسول ﷺ أول الشاهدين

دعاء المؤمنين لقبولهم في الأمة الوسط

يقول الله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ
رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ
فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنَّهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾ ﴾

(آل عمران ١١٣-١١٥)

في هذه الآيات الكريمة :

يناجي المؤمنون ربهم، ويعلنون إيمانهم به وبرسله، ويدعون الله المغفرة وأن لا
يخزيهم يوم القيامة ويلحقهم بالأبرار.

فيستجيب الله لهم استجابة مشروطة بأن يجاهدوا في الله حق جهاده حتى يكفر
عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا لهم على ذلك أسوة
بالأبرار.

كقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

(البقرة ١٨٦)

أي أن الله يستجيب لهم إذا استجابوا له.

وكما نعلم أن من جاهد في الله حق جهاده يجتبيه الله ويجعله من الشهداء على

الناس أي في " الأمة الوسط "

دعوة الله للمؤمنين

الانضمام للأمة الوسط

أما في سورة الحج فيقول الله تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ

مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿

(الحج ٠٧٧-٠٧٨)

ففي سورة الحج عكس سورة آل عمران

لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يدعوهم للجهاد ليحببهم ويجعلهم شهداء على

الناس " في الأمة الوسط "

كقوله تعالى في سورة الصف :

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴿

(الصف ٠١٠-٠١١)

فالشهداء هم إذن أعضاء الأمة الوسط

﴿ فمن هم الشهداء وكيف يشهدون على الناس ... ؟

اختيار وتكليف واستدعاء الأمة الوسط

١ - الشاهد والشهيد

الشاهد: اسم فاعل، والشهيد: صيغة مبالغة لاسم الفاعل.
 فالشاهد، والشهيد مترادفان لمعنى واحد، وهو أن يرى المرء حدثا ويعي ذلك جيدا ثم يسرده بصدق عند الطلب منه، وهذا العمل الذي يقوم به هو الشهادة .
 إذن فالشهادة هي: رؤية الحدث عند وقوعه، ثم سرده عند التحقيق في أمره .
 ولما كانت الشهادة لإحقاق الحق فأوجب الله على الشاهد أن يكون ذا عدل وغير متابع بحساب، سواء كان ذلك في الحياة الدنيا الصغرى (حياة التكليف)، أو في الحياة الدنيا الكبرى (ضمن الأمة الوسط).
 ففي الحياة الدنيا الصغرى يقول الله تعالى عن الشاهد :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ تَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

(المائدة ١٠٦-١٠٨)

فالشهداء هنا في الدنيا الصغرى يشترط أن يكونوا غير متابعين بحساب أو استحقا إثمًا.

وكذلك الشهداء على الناس في الدنيا الكبرى يشترط أن يكونوا ذوى عدل وغير متابعين بحساب.

فمن هؤلاء غير المتابعين بحساب من الفرق الثلاث ... في الدنيا الكبرى ؟ هم طبعا السابقون، أولئك المقربون الذين يدخلون الجنة بغير حساب، بل ويشهدون للرسل والنبیین وعلى الناس أجمعين.

أما أصحاب اليمين فيحملون كتابهم بيمينهم استعدادا للحساب اليسير، ثم دخول الجنة.

وأصحاب الشمال يحملون كتابهم بشمالهم استعدادا للحساب العسير، ثم دخول النار.

والشهادة في الدنيا الصغرى فرض على المؤمنين إذا ما دعوا لها مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ ^ط فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ^ج وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ^ج وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ^ج ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ^ط إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ^ط وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ^ج وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ^ج وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ ^ط وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ^ط وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (البقرة ٢٨٢)

فهنا يوضح الله لنا بجلاء تام معنى الشهادة والشهيد والشهداء، ولكن في الدنيا الصغرى.

فكما ترى أيها القارئ أن الله حدد لنا ثلاثة أمور نتبعها للتعامل فيما بيننا في حياتنا الدنيا الصغرى ، وهذه الأمور هي :

أولا : اختيار شهيد من الشهداء.

ثانيا : تكليفهم بالدقة في تحرير الشهادة.

ثالثا : استدعائهم للشهادة عند الطلب.

وهذه الأمور الثلاثة التي أمرنا الله باتباعها هي نفس الأمور التي يتبعها سبحانه وتعالى في الأمة الوسط حيث يقوم سبحانه وتعالى :

- باختيار الشهداء.

- وتكليفهم بالشهادة.

- ثم استدعائهم يوم القيامة للشهادة على الناس.

٢- الاستشهاد في سبيل الله

يعني أن المرء يضحي بحياته مجاهدا في سبيل الله، فعند موته يجازيه الله بأعلى وسام وهو لقب " شهيد " .

ولذلك سمي العمل الذي يوصله لينال هذا اللقب " الاستشهاد " أي الموت للحصول على لقب " شهيد " .

والشهيد هو عضو من أعضاء " الأمة الوسط " ، أي الأمة العدل " السابقون " الذين يدخلون الجنة بغير حساب . بل ويستدعون يوم الحساب لممارسة العمل الذي يحملون لقبه " الشهداء " ويقومون به " الشهادة " للرسول والنبين وعلى الناس أجمعين.

٣- جزاء الشهيد عند الله:

والشهاده مهمه كانت اسباب استشهاده كالموت في سبيل الله دفاعاً عن الدين أو الوطن أو العرض، أو المال، أو الموت حرقاً أو غرقاً، أو في مرض عضال، أو قتلاً مظلوماً، أو الموت لمؤمن صالح تمنى أن يكون شهيداً عند الله ، فمهما اختلفت الأسباب في الموت فالشهيد عند انتقاله من الدنيا الصغرى إلى الدنيا الكبرى ينال عند الله براءة الشهداء فيتمتع :

أولاً : بالمغفرة من جميع ذنوبه.

ثانياً : ينضم للشهداء منذ آدم ويصبح عضواً من أعضاء الأمة الوسط.

ثالثاً : يشهد أعمال الناس وهم في الدنيا الصغرى:

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^ط (التوبة ١٠٥)

رابعاً: يستدعى للشهادة على الناس والنبين يوم الحساب:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (النحل ٠٨٤)

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ (الزمر ٠٦٩)

خامساً :- الإعفاء من الحساب يوم القيامة.

- والسبق بدخول الجنة مع المقربين.

شهداء الأمة الوسط

قلنا إن شهداء الأمة الوسط يختارهم الله ثم يكلفهم بالشهادة على الناس. ثم يستدعيهم للإدلاء بشهادتهم يوم الحساب.

(١) اختيار شهداء الأمة الوسط:

لأن الله وحده المطلع على خبايا النفوس ويعلم ما تكنه الصدور فهو وحده الذي يختار الشهداء؛ لأهم أعضاء خير أمة أخرجت للناس " الأمة الوسط "، وذلك بعد الابتلاء والاختبار لهم في الدنيا الصغرى؛ لذلك يقول الله تعالى:

١ - ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(الحج ٠٧٨)

﴿ وَفِي هَذَا ﴾ : أي باتباع الدين الحق من عبادات، وجهاد في سبيل الله.

٢ - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

(البقرة ١٤٣)

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ : أي بالابتلاء والاختبار لكم، تشابها مع اختبار الله للمسلمين عند

التحول عن القبلة.

٣ - ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ

مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ ﴾

(آل عمران ١٤٠)

أي أن الله يختبركم أولا ثم يختار منكم الشهداء.

ولما كان الاختيار لله وحده فكانت الشهادة أمنية غالية للمؤمنين مصداقا لقوله

تعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة ٠٨٣)

وقوله تعالى:

﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ٠٥٢-٠٥٣)

(٢) تكليف شهداء الأمة الوسط

مصدقا لقوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٠٨٩)

انظر أيها القارئ الكريم إلى قول الله تعالى هنا:

١- ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ (النحل ٠٨٩)

يقول الله تعالى ﴿ نَبْعَثُ فِي ﴾ أي أن الله يرسل في كل أمة من يشهد عليهم من أنفسهم، أي ممن اختار منهم من الشهداء عند انتقاهم من الدنيا الصغرى إلى الدنيا الكبرى. " أي الأمة الوسط "

٢- وقوله تعالى:

﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء ٠٤١)

يخاطب الله رسوله الكريم ﷺ وهو في الدنيا الصغرى قائلا له : وعندما نأتي بك

للدنيا الكبرى ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ فستكون أنت الشاهد عليهم جميعا، أي أول الشاهدين في الأمة الوسط.

فكما ترى أيها القارئ أن الله تعالى :

١- يبعث من الشهداء في الدنيا الكبرى من يشهد على الناس في الدنيا الصغرى.

٢- ويوم نأتي بك يا محمد أي تتوفيك فنتقل من الدنيا الصغرى للدنيا الكبرى فستكون أنت الشهيد على هؤلاء الشهداء أي أول الشاهدين.

● وبالتطابق بين الآيات :

سورة النحل

سورة البقرة

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا يُقَابِلُهَا ﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿

وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿ يُقَابِلُهَا ﴾ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ هَتُّوْلَاءِ ﴿

وبذلك يتضح لنا بأن هذا التكليف : ﴿ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾

هو تكليف للأمة الوسط.

ويقول الله تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل ٠٨٩)

وها هو كتاب الله أمامك فيه من الآيات ما يبين لك كل شيء عن الأمة الوسط.
(لأن الحديث هنا عن الشهادة)

ويقول الله تعالى:

﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل ٠٨٩)

فلماذا يخص الله هنا المسلمين بهذه الأمور (الهدى والرحمة) ... وبماذا
يبشرهم...؟

الجواب :

لأن الله هداهم برحمته، وجعل منهم الأمة الوسط، أي الأمة التي تشهد على
الناس أجمعين ، فالله يبشرهم بهذه المكانة المرموقة، والتي يخصهم بها دون
سواهم إذا جاهدوا في الله حق جهاده ... وكانوا من المتقين.
يقول الله تعالى:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٠٥)

في هذه الآية الكريمة يحثنا الله سبحانه وتعالى على عمل الخيرات في الدنيا
الصغرى ؛ لأن هذا العمل الذي نقوم به يراه الله ويراه الرسول والمؤمنون، فكل ما
نعمل في الدنيا الصغرى يراه الله وهذا أمر طبيعي ...

أما كيف يراه الرسول والمؤمنون . فهذا دليل على وجود الرسول والمؤمنين في
الدنيا الكبرى للاطلاع على أعمالنا في الدنيا الصغرى.

وعندما تنتقل بالموت للدنيا الكبرى، ونكون عند عالم الغيب والشهادة ، أي
نتقل إلى الأجل المسمى عنده والذي نبهله وتحدث فيه الشهادة على أعمالنا سينبئنا
سبحانه وتعالى بما كنا نعمل في الدنيا الصغرى.

فكما ترى أيها القارئ قول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ : القيام بالأعمال في الدنيا الصغرى.

﴿ فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^ط : رؤية الأعمال من طرف الشهداء.

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ : الانتقال للدنيا الكبرى عند الله.

﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ : فيعرض عليكم ما قمتم به من

أعمال في الدنيا الصغرى.

يمكننا القول: إن رؤية الرسول ﷺ والمؤمنين لأعمالنا تعني أن المؤمنين شهداء

لأعمالنا والرسول ﷺ أول الشاهدين.

فكما نرى أن الأعمال ترى أولا من الله ورسوله والمؤمنين، ثم بعد ذلك يردون

إلى عالم الغيب لينبئهم بما كانوا يعملون.

إذن فالأمة الوسط تتكون في الدنيا الكبرى فقط دليلاً على أن أعمالنا يطلع

عليها الشهداء ويتبعونها دون أن نشعر بهم، ثم يعرضونها على أقاربنا وعشائرننا من

المؤمنين في الدنيا الكبرى مصداقا لحديث رسول الله ﷺ :

" إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرا

استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما

هديتنا"^١

وفي حديث آخر:

" حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا مت كانت وفاي خيرا لكم

تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله، وإن رأيت شرا استغفرت

لكم."^٢ (صدق رسول الله)

^١ الطبراني في المعجم الكبير، جزء ٤، ص ١٢٩.

^٢ كشف الأستار للهيتمي، جزء ١، ص ٣٩٧.

فمن الواضح أن الأعمال تعرض على الرسول ﷺ وعلى الأقارب الصالحين فقط في الدنيا الكبرى.

فمن يعرض هذه الأعمال سوى الشهداء الذين عاينوها وهم طبعاً أعضاء الأمة الوسط. قال ﷺ :

" إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه " ^١
وفي حديث آخر :

" لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. قال الله تعالى : " أنا أبلغهم عنكم " ^٢ (صدق رسول الله)

فقول الرسول ﷺ هنا:

- " نسمة المؤمن طائر "

- " أرواحهم في جوف طير "

يعني أن الله تعالى يمكنهم من الطيران بطبيعة الحال بأجنحة كالملائكة الكرام . فهم منطلقون أحرار في السماوات والأرض.

ولأن الله حجب عنا رؤيتهم وسماعهم والشعور بوجودهم طلبوا من الله أن يبلغ إخوانهم في الدنيا الصغرى عن طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم في الدنيا الكبرى كقول حبيب النجار الرجل الذي كان ينصح قومه باتباع الرسل فقتلوه :

﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(يس ٠٢٦-٠٢٧)

^١ مسند أحمد، جزء ٣، ص ٤٥٥، وإسناده صحيح.

^٢ مسند أحمد، جزء ١، ص ٢٦٦، وإسناده صحيح.

فلى الله تعالى طلبهم وأبلغنا

ولذلك قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾

(الفرقان ٠٢٢-٠٢٤)

﴿ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

المجرمون في الحجر المحجور، والمؤمنون لهم المقدره على الطيران وخير مستقرا

وأحسن مقيلا.

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ۖ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران ١٦٩-١٧١)

﴿ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي استشهدوا

فهذه الآيات الكريمة توضح لنا اختيار الله للشهداء وتكليفهم بالشهادة ، يقول

الله تعالى : ﴿ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي استشهدوا

﴿ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ ﴾ : إذن فأحياهم الله بعد الموت حقا

ومصدقا لقوله تعالى :

﴿ لَنْ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

(الواقعة ٠٦٠-٠٦١)

﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

أي أن: الله سبحانه وتعالى سينشئنا نشأة أخرى بعد الموت غير هذه النشأة التي نحن فيها.

يقول الله تعالى : ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي أحياء ولكن في الدنيا الكبرى عنده، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ﴾
(الأنعام ١٠٢)

فالأجل : الحياة الدنيا الأولى : "الدنيا الصغرى"

والأجل المسمى عنده : الحياة الدنيا الثانية : "الدنيا الكبرى"

ملحوظة : رب سائل يقول إن الحياة الدنيا تنتهي بالموت ؟

الجواب :

الحياة الأولى "الأجل"،

والحياة الثانية "الأجل المسمى عنده".

كلا الأجلين في الدنيا؛ لأن الدنيا لا تنتهي إلا بقيام الساعة (كما سنرى من

بعد)

يقول الله تعالى : ﴿ يُرْزِقُونَ فَرِحِينَ ﴾ .

إذن فلهم عمل ورزق من عند الله، وكما نعلم أن من قتل في سبيل الله هو

الشهيد فيتضح لنا العمل المكلف به وهو الشهادة على الناس.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾
(البقرة ١٤٣)

فواضح أن هذه الشهادة تكون على الناس وهم في الدنيا الصغرى ، لذا قال الله

تعالى :

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾

كَمَنْ مَثَلُهُ

﴿ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٢﴾

(الأنعام ١٢٢)

فهنا يوضح الله لنا أن كلا من المؤمن والكافر مات ثم أحياهما الله، أي انتقلا من الدنيا الصغرى للدنيا الكبرى ، أي انتهيا من الأجل الأول وبدءا الأجل الثاني عنده.

ثم جعل الله للمؤمن النور يمشي به في الناس ، فمن الواضح أن المؤمن هنا يكون شهيدا على الناس، وإلا فلماذا يمشي بالنور في الناس في صورة غير مرئية ...
أما الكافر فيجعله الله في الظلمات. لماذا ؟

لأن الله جعل بينه وبين الدنيا برزخا (أي حاجزا) يمنعه الرجوع للإطلاع على الدنيا الصغرى ، فهو حي ولكنه كالسجين في الحجر المحجور (السبع أرضين) ينال عذابه المؤقت حتى قيام الساعة.

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ﴿٤٦﴾ (غافر ٠٤٦)

﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠٠)

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ ﴿٦٦﴾

(الفرقان ٠٢٢)

يقول المفسرون في قوله تعالى:

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾

(الأنعام ١٢٢)

النور هنا يعني القرآن ﴿كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي : كان قبل الإسلام في ضلال ثم أحياه الله بالإسلام، أي هداة.

وهذا التفسير هو تفسير بالرأي ، أما التفسير بتطابق الآيات، أي بالقرآن يشرح بعضه بعضا : فالله يوضح لنا في آياته البينات أنه يهب النور لمن رضي عنهم كأجر في الدنيا الكبرى مصداقا لقوله تعالى :

١ - ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ

(الحديد ١٩٠)

رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿

إِذْن : فالشهداء عند ربهم أي في الدنيا الكبرى، أي كانوا أمواتا فأحياهم الله ولهم أجرهم ونورهم.

٢ - ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ۖ يُوْتِكُمْ كَفَلِينَ مِّن

رَحْمَتِهِ ۖ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(الحديد ٢٨٠)

رَحِيمٌ ﴿

يخاطب الله أهل الكتاب بقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

إذن فلم يكونوا أمواتا في ضلال قبل نزول القرآن، بل كانوا على هدى ونور وإيمان بالتوراة والإنجيل.

فيدعوهم الله بالإيمان برسوله وبالقرآن حتى يجعل لهم في الدنيا الكبرى النور كأجر يمشون به في الناس.

٣ - ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزَىٰ لِلَّهِ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ۗ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ

(التحریم ٨٠)

أَيْدِيهِمْ ﴿

أي : يوم القيامة يسعى النور الذي وهبه الله لهم في الدنيا الكبرى بين أيديهم.
وإن هذه الآية الكريمة متعلقة بما جاء في بداية السورة ومتطابقة معه حيث يقول الله تعالى :

(بداية سورة الأنعام) يقابلها (الآية ١٢٢ من سورة الأنعام)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾
﴿ النَّاسِ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۗ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ﴾
﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ ۗ كَمَن مَّثَلُهُ ۗ ﴾

(أي كان ميتا فأحييناه مثله - أي انتقل من الأجل الأول إلى الأجل الثاني)

وبذلك يكون التأويل بالتطابق بين الآيات واضحا لأن الله هو الذي يفصل لنا آياته تفصيلا .

إذن ﴿ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ ﴾ أي انتقل من الأجل إلى الأجل المسمى عنده ، فالؤمن يهبه الله النور يمشي به في الناس في صورة غير مرئية. والكافر يظل في الظلمات ليس بخارج منها. لذا يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

(البقرة ١٥٤)

تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

فمن قتل في سبيل الله وفارق الدنيا الصغرى يجيئه الله في الدنيا الكبرى؛ ليطلع على أعمالنا في الدنيا الصغرى ... ولكننا لا نشعر بوجوده؛ لأن الله حجب عنا رؤيته وسمع صوته.

هذا هو معنى : ﴿ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

فقد خلق الله لنا الحواس الخمس لنشعر بما يدور حولنا، نسمع، ونرى، ونلمس، ونتذوق، ونشم الرائحة.

ولكن الله سبحانه وتعالى يعلمنا أنه رغم هذه الحواس التي وهبنا إياها للشعور بمن حولنا فنحن لا نشعر بوجودهم. إذن فقد حجب الله عنا الشهداء وجعل حواسنا لا تدركهم وبذلك لا نشعر بوجودهم ... لماذا؟ حتى نكون أحرار التصرف في كل ما نقوم به من أعمال، سواء خيراً أو شراً بتلقائية وحرية تامة وحتى يتمكنوا هم - كذلك - بحرية متابعتنا وتقصي أخبارنا دون التأثير على تصرفاتنا، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحاقة ٢٨-٢٩)

فنحن نعيش في عالم به ما ندركه بالعين وما ندركه بالعلم، فما ندركه بالعين هو ما نراه مباشرة بالعين المجردة، وما ندركه بالعلم هو ما نراه بالاستعانة بالأجهزة العلمية ، وبه كذلك ما لا ندركه أبداً بالعلم وهذا هو معنى ﴿ مَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

فالملائكة والشهداء والجن والشياطين هؤلاء جميعاً محبوبون بأمر الله عن إدراكنا بالحواس (إلا لمن ارتضى الله من رسول أو نبي أو مؤمن صالح حين يشاء الله له ذلك)

لذا قال الرسول ﷺ :

" لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا من كان " ^١

فمعنى ذلك : أن أعمالنا مراقبة بدقة دون أن نشعر بالمراقبين لها.
يقول الرسول ﷺ :

" لأخرج عمله للناس " فمن هؤلاء الناس ؟ هل يعني ذلك أن الله يفضحه ؟
طبعا ... لا... لأنه إن كان في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة فلا يمكن
أن يراه أحد من الناس .

إذن فالمقصود بالناس (الشهداء من الناس في صورة غير مرئية)، هذا بالإضافة
طبعا إلى رؤية الملائكة الكرام لهذه الأعمال .

رب قائل يقول : إن الملائكة هم المكلفون بتسجيل الأعمال لكل مخلوق ولا
حاجة لشهادة الشهداء لأعمالنا، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٦﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

(الانفطار ٠١٠-٠١٢)

الجواب :

إن حكمة الله وإرادته في كل ما يفعل ويقدر لا نقاش لنا فيها من قريب أو
بعيد. ولو كان تسجيل الأعمال لكل مخلوق يغني عن هذه الشهادة، أو علم الله
المسبق لأصحاب الجنة وأصحاب الجحيم يغني عن يوم الحساب، لما قرر الله سبحانه
وتعالى محاسبة كل مخلوق على أعماله، وهو العليم بالسرائر وخير شاهد لكل عمل،
ولكن اقتضت حكمة الله وعدله إظهار الحجج والبراهين لكل مخلوق.

إذن فشهادة الرسول ﷺ والمؤمنين وهم عند عالم الغيب، والشهادة لأعمالنا في

^١ مسند أحمد، جزء ٣، ص ٢٨، وإسناده حسن.

الدنيا الصغرى " حياة التكليف "، هي حكمة من حكم الله والتي قررها الله وبينها لنا في آياته الكريمة.

ولنضرب مثلاً آخر لحكمة الله سبحانه وتعالى في مناقشة الأعمال المسجلة في كتاب كل مخلوق حين يقول جل من قائل لعيسى ابن مريم عليه السلام :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنٓ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيٓ بِحَقِّٖٓ إِن كُنتَ قُلْتَهُ ۗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ۗ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

(المائدة ١١٦-١١٩)

فكما ترى أيها القارئ أن سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام لا يعني أن الله لا يعلم ما قاله عيسى، وهو علام الغيوب وعنده كتاب لكل مخلوق أحصى كل قول وكل عمل.

يقول الله : ﴿ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾

فيجيب عيسى عليه السلام :

﴿ إِن كُنتَ قُلْتَهُ ۗ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ ﴾

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾^ط
﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾

فمن هذه الآيات البينات نستنتج أن حكمة الله وعدله ارتأت مناقشة الأعمال وتبيان الحجج والبراهين، وإحضار الرسل والأنبياء، وشهادة الشهداء، وشهادة الرسول ﷺ (في الأمة الوسط).

كل هذا يحدث يوم الحساب رغم أن الملائكة الكرام قدمت كتابا مفصلا لكل مخلوق بأعماله في الدنيا الصغرى، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فأصحاب الجنة يحملون كتابهم بيمينهم فخورين بسعيهم ، وأصحاب النار يحملون كتابهم بشمالهم أو وراء ظهورهم متقززين من سوء سعيهم.
وإن قول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

(التوبة ١٠٥)

لخير دليل على العمل المكلف به شهداء " الأمة الوسط "
يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ

عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

(يونس ٤٦)

انظر أيها القارئ لقول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾

رب سائل يقول : ما علاقة أن يريه الله بعض ما يعدهم بوفاة الرسول (نتوفينك)..؟

إذن فالموقف هنا - يوم البعث يوم الحساب - يستدعي الله الشهداء من كل الأمم ليشهدوا بأن رسلهم بلغوا الرسالة وكذب الكافرون ، ويشهد الرسول ﷺ على أنهم الشهداء من الأمة الوسط فلا يجد الكافرون حجة تنقذهم. وبالتطابق بين الآيات لتحديد الأمة الوسط:

سورة النساء

يقابلها

سورة البقرة

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

إذن فالأمة الوسط مؤلفة من الشهداء الذين اختارهم الله من كل الأمم.

أما عن الرسول ﷺ فقد قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

(الأنعام ٠١٤)

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ

(الأنعام ١٦٢-١٦٣)

﴿ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٣﴾

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

رب سائل يقول:

كيف يكون الرسول ﷺ هو أول المسلمين، وقد سبقه منذ الفطرة هذا الخلق
أجمعون من المسلمين؟

الجواب:

إن قول الله تعالى: ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾

لا يعني السبق في الإسلام، ولكن الدرجة بين المسلمين، لأن الرسول ﷺ هو
أول الشاهدين في الأمة الوسط .

لذا ذكر الله سبحانه وتعالى في كل الكتب السماوية اسم الرسول ﷺ ليعلم
المسلمين كافة بخاتم الرسل وأول الشاهدين والشاهد عليهم أجمعين.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف ١٥٧)

لذا قال الرسول ﷺ :

" أنا سيد الناس يوم القيامة " ^١

" أنا أول من يقرع باب الجنة " ^٢

(صدق رسول الله)

اللهم آت سيدنا محمد الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه اللهم مقاما
محمودا الذي وعده إنك لا تخلف الميعاد.

^١ مسلم (كتاب الإيمان / أدنى أهل الجنة) جزء ١، ص ١٨٤.

^٢ مسلم (كتاب الإيمان / باب أنا أول الناس يشفع) جزء ١، ص ١٨٨.

الشهادة للرسول والنبين

قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم :

" يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت فيقول : نعم ... فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ... وما أتانا من أحد . فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ... قال فذلك قول الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٤٣) والوسط العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم " (صدق رسول الله)

رب سائل يقول :

كيف يشهد المسلمون من عهد محمد ﷺ على أمة نوح وهم غير معاصرين لها، وأن معنى (يشهد) كما رأينا من قبل أنه حاضر لحدوث الأمر ويعني تماما ما حدث... حتى يستدعى للإدلاء به ؟

رب قائل يقول :

إن المسلمين سيقولون : إن الله ذكر في القرآن أن نوحا بلغ رسالة ربه ونحن نشهد بأن ما قاله الله حق، ويشهد سيدنا محمد ﷺ بصدق القول.

● التعليق :

لو نظرنا إلى عمق معنى الشهداء والشهادة لوجدنا أن جميع عناصرها غير متوفرة في شرح هذه الشهادة لمحمد ﷺ وأمته.

لأن هذه الشهادة تعتبر تأكيدا فقط للإيمان بالله ورسوله وما جاء به القرآن الكريم.

إذن فهي شهادة على ما ذكره الله تعالى وليست بشهادة عيان على تبليغ نوح

^١ البخاري (كتاب التفسير/ باب وجعلناكم أمة وسطا) جزء ٨، ص ١٧١.

لقومه كواقع حدث وشهده الشهداء على الناس في الأمة الوسط.

إذن فكيف نفسر هذا الحديث الشريف ؟

الشرح:

حتى نفهم هذا الحديث بدقة يجب أن نحدد الآتي :

(١) لماذا يسأل محمد ﷺ ؟..

(٢) ومن هم أمته ؟..

أولا : يسأل محمد ﷺ لأنه أول الشاهدين، وأول المسلمين في الأمة الوسط.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)

ثانيا : " أمة محمد " ﷺ هم الشهداء كافة منذ آدم حتى البعث " أي الأمة الوسط"،
فأمة محمد هنا ليست الأمة المحمدية قاطبة بل هي الأمة الخاصة :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١)

" لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى
يأتيهم أمر الله وهم على ذلك" (حديث شريف)^١

فالأمة الوسط مؤلفة من شهداء المسلمين الأولين والآخرين.

فشهداء المسلمين الأولين : هم الشهداء الذين اختارهم الله منذ آدم حتى محمد ﷺ .

أما شهداء المسلمين الآخرين : فهم الشهداء الذين اختارهم الله من عهد محمد خاتم
الأنبياء حتى يوم البعث.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

(النساء ٠٤١)

^١ البخاري (كتاب المناقب / باب حدثنا محمد) جزء ٦، ص ٦٣٢.

أي أن الله يستدعي من كل أمة من الأمم الإسلامية قاطبة شهيدا منهم ليشهدوا
ثم يشهد الرسول ﷺ على صدقهم.

إذن فالأمر أصبح واضحا.

وهو أن الشهداء من عهد نوح عليه السلام والذين اختارهم الله في الأمة الوسط هم
الذين يشهدون لنوح بالبلاغ لتبرئته من الكافرين من أمته وحتتهم أنهم آمنوا
برسالته واتبعوه ، ثم يشهد الشهداء من عهد محمد ﷺ ومن عهد كل نبي ورسول
آخر على صدقهم وحتتهم أن أنبياءهم أعلموهم بأن الرسل قد بلغوا رسالة
ربهم ، ثم يشهد سيدنا محمد ﷺ بأنهم جميعا من الأمة الوسط الموثوق
بشهادتهم ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۗ ﴾

يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ

اللَّهُ حَدِيثًا ۗ ﴿٤٢﴾ (النساء ٠٤١-٠٤٢)

وقوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۗ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ ۗ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۗ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۗ رَبَّنَا

ۗ آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۗ ﴿٥٣﴾

(آل عمران ٠٥٢-٠٥٣)

فهنا تحديد للمسلمين في عهد عيسى عليه السلام يتمنون أن يكونوا في الأمة
الوسط حتى يشهدوا يوم البعث لتبرئة عيسى عليه السلام من إنكار الكافرين، تماما
كما حدث لنوح عليه السلام .

إذن فعيسى يسأل بالمثل فيؤيد قوله ويشهد له الشهداء من أمته أي الحواريون

والحاضرون لما حدث، ثم يشهد له الشهداء الآخرون بصدق ما قيل حيث ذكره الله في كتبه وأخبرهم أنبياءهم بأن الرسل بلغوا رسالة ربهم عز وجل، ثم يشهد محمد ﷺ بأن هؤلاء جميعاً من الأمة الوسط الموثوق بشهادتهم. ولنتأكد من ذلك فلنتمعن في حديث الرسول ﷺ الآتي :

" يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجال وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا ، فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم. فيقال : من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته . فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم . فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فيقولون قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (وسطا) قال : عدلاً ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^١ (صدق رسول الله)

انظر أيها القارئ لقول الرسول ﷺ : " ومعه الرجال وأكثر من ذلك "

فمن هؤلاء الرجال وأكثر ...

لعلك تذكر قول الله تعالى :

﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ^ص ﴾ (البقرة ٢٨٢)

إذن فهم الشهداء من أمة النبي الذي يسأل والذين اتبعوه كقول الحواريين

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾

(آل عمران ٥٣)

سئل ابن العباس - رضي الله عنهما - عن قول الله تعالى : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ

^١ ابن ماجه كتاب الزهد باب صفة أمة محمد جزء ٤ ص ٥٥٣ واسناده صحيح

الشَّهِيدِينَ ﴿ فقال : " مع أمة محمد " ^١

وهذا إسناد جيد ، فإن كان الحواريون أنصار عيسى عليه السلام يوم القيامة ضمن أمة محمد فهذا دليل على أن أمة محمد ﷺ الخاصة حقا مؤلفة من الشهداء من كل الأمم وهي " الأمة الوسط " .

إذن فالشهادة يوم البعث تحدث كالاتي :

(١) يشهد الشهداء من أمة النبي (الذي يسأل) بصدقه وتبليغه ، وحجتهم أنهم عاصروه وآمنوا به واتبعوه.

(٢) ويشهد الشهداء من الأمم الإسلامية الأخرى بصدقه وتبليغه ، وحجتهم أن أنبيائهم أخبروهم بأن الرسل قد بلغوا رسالة ربهم عز وجل.

(٣) ويشهد الرسول ﷺ بأن هؤلاء جميعا من " الأمة الوسط " أي الأمة العدل الموثوق بشهادتهم ، وهو أول الشاهدين وأول المسلمين.

^١ تفسير ابن ابي حاتم / جزء ٢ ، ص ٦٦٠ ، سورة آل عمران ٥٣ .

الشهادة على الناس أجمعين

هذا عن الشهادة يوم البعث لتبرئة الرسل والأنبياء ، فكيف تتم الشهادة لتبرئة
الناس أجمعين؟

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (البقرة ١٤٣)

أي أن الأمة الوسط تشهد على الناس أجمعين.
وقوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ
وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (ق ٢٠-٢١)

فهنا يوم العرض أمام الله كل شخص مرفوق بسائق من الملائكة، أي موجه له
للقاء الله - عز وجل - وشهيد من أعضاء الأمة الوسط كان مكلفا بالشهادة عليه
منذ تحمله مسؤولياته نحو رسالة الله.
وقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ
وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَدُ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ ٱلَّا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (هود ١٨)

فكما ترى أيها القارئ في هذه الآية الكريمة العرض أمام الله وشهادة أعضاء
الأمة الوسط ﴿ ٱلْأَشْهَدُ ﴾ على الظالمين ومناقشة حسابهم .

أما عن حساب أصحاب اليمين فيقول الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ (الانشقاق ٠٠٧-٠٠٩)

عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

" ليس أحد يحاسب إلا هلك "

قلت : يا رسول الله أليس الله يقول ﴿ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟

قال : " ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك. " ^١

وفي رواية أخرى :

قال رسول الله ﷺ :

" من نوقش الحساب عُذِّبَ " قالت : أفليس قال الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ

حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟

قال : " ليس ذلك بالحساب ولكنه العرض من نوقش الحساب يوم القيامة

عُذِّبَ. " ^٢

فمعنى ذلك أن حساب أصحاب اليمين هو العرض أمام الله ونورهم يسعى بين

أيديهم شاهدا عليهم.

وخلاصة القول :

فيوم القيامة يوزع الخلق - سواء من الإنس أو الجن - إلى الفئات الثلاث كما

ذكرنا من قبل :

السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

^١ البخاري (كتاب التفسير / باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا) جزء ٨، ص ٦٩٧.

^٢ البخاري (كتاب الرقاق / باب من نوقش الحساب) جزء ١١، ص ٤٠٠.

ومن هذا كله يتضح لنا أن قول الله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)

لا يعني أن الأمة المحمدية قاطبة في الحياة التكليفية هي الأمة الوسط والتي ستكون شاهدة على الناس ، لأن الأمة المحمدية كما رأينا موزعة بين الفئات الثلاث وكما رأينا كذلك أن السابقين هم الفئة المختارة من الله عز وجل

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الواقعة ١٣-١٤)

أي من المسلمين كافة منذ آدم حتى البعث، وهم على كور مشرفين على الخلائق يوم القيامة حيث عن يمين العرش أصحاب اليمين، وعن يسار العرش أصحاب الشمال المعدون للحساب، أما هم فيدخلون الجنة بغير حساب بل ويشهدون للرسول والنبين وعلى الناس أجمعين .
كقوله تعالى :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ (الزمر ٦٩)

هؤلاء هم أعضاء الأمة الوسط وهم أمة محمد الخاصة في الدنيا الكبرى ، الشهداء الذين اختارهم الله لهذا اليوم منذ آدم حتى البعث ، لذلك ينعتهم الله يوم القيامة بقوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١١٠)

أي كانوا في الدنيا الصغرى خير الناس على الإطلاق واستحقوا هذه الدرجة العليا والتي يتمنى أي شخص ما أن يكون منهم.

ولم لا وهم المقربون لله ويشهدون على الناس أجمعين، ويدخلون الجنة بغير حساب ؟

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- النصيحة.
- أحاديث الرسول ﷺ
- أمتي..... أمتي.....
- دعوة الكاتب للقارئ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

رب قائل يقول : إن قول الله تعالى :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(آل عمران ١٠٤)

يعني أن تكون من المؤمنين فئة متخصصة للدعوة الإسلامية، كما هو الحال اليوم حيث يتفرغ أناس تمام التفرغ للدعوة الإسلامية يقاتلون عيشتهم من وراء ذلك

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعني تجمع الناس وإلقاء الخطب والدروس الدينية فحسب، بل هو خلق وصفات المقربين لله أينما وجدوا، وفي أي مناسبة كانوا، ومهما كان نوع عملهم الكل...الكل... مطلوب منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

فالأم التي لا تعرف القراءة والكتابة إذا قالت لأبنائها هذا حرام... وهذا حلال... فقد أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر.

والمزارع البسيط إذا قال لصاحبه إن هذا العمل يرضي الله وهذا يغضب الله... فقد أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

وقس على هذا جميع الناس في جميع المستويات فالمؤمنون إذن درجات.... فمنهم من يكتفي بعبادة الله ومراعاة طاعته والبعد عن معصيته ولا يشغل باله بما يفعل الآخرون من معاصي ، وإذا رأى منكرا... اكتفى بإنكاره بقلبه وهذا أضعف الإيمان .

ومنهم من إذا رأى منكرا سعى لتغييره بيده فإن لم يستطع فبلسانه.... وهؤلاء هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمطيعون لرسول الله ﷺ حيث قال:

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ،
وذلك أضعف الإيمان " ^١

وهؤلاء هم هذه الفئة التي حث الله المؤمنين أن يكونوا منهم.
فالتغيير باليد هنا لا يعني استخدام اليد أي الضرب والمركة وباللسان لا
يعني السب والتحقير

لماذا...؟

لأن الله سبحانه وتعالى يأمرنا جميعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو
يعلم جل وعلا مقدرة كل منا على استعمال اليد واستعمال اللسان ...
وهو سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، فالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر يكون بالحسنى.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ^ط وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ
أَحْسَنُ ^ع ﴾
(النحل ١٢٥)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن
حَوْلِكَ ^ط

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ^ط

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ^ع ﴿
(آل عمران ١٥٩)

إذن فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون في هذا الإطار، العفو والاستغفار
لهم ... (حتى لا تضيع المودة) وأخيرا محاولة منع المنكر باليد ... وهذا يعني منع

^١ مسلم (كتاب الإيمان / كون النهي عن المنكر من الإيمان) جزء ١، ص ٦٩.

حدوثه دون التعدي على فاعله ...

مثال لذلك

مشهد شخص يعتدي على شخص آخر ...

فكيف التصرف لمنعه باليد ؟

أولا : بأسهل الطرق أن نبعد المعتدي عليه باليد

ثانيا : نحاول أخذ السلاح من يد المعتدي أو إبعاده

ثالثا : استدعاء الشرطة أو الناس لمنع حدوث المنكر في أقرب وقت إذا تعذر الأمر.

فاستخدام اليد لا يعني قتل أو ضرب المعتدي، وتنصيب أنفسنا قضاة لفرض أمر نجعله المطلوب فقط المحاولة وبأقصى ما يمكن لمنع المنكر البين المجهر به علنا أما ما ستره الله فليس لنا أن نفضحه، ونتتبع عورات الناس، لأن الله هو وحده المطلع على السرائر وهو وحده القاضي في هذا الأمر....

أما كيف التصرف لمنع المنكر باللسان :

أن ننبه المعتدى عليه بالابتعاد عن المعتدي، وننبه المعتدي بأن هذا الأمر حرام ويغضب الله، وعقابه عند الله كبير ونخيفه من عاقبة أمره في الدنيا والآخرة.

هكذا يكون التدخل باليد وباللسان كما قال الله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^ط (النحل ١٢٥)

أي نمنع حدوث المنكر بالحسنى، ولا أن نقوم بمنكر لمنع حدوث منكر....

وربما يكون المعتدي هو المظلوم والمعتدى عليه هو الظالم.

فقط نبين للمظلوم أنه يمكنه أخذ حقه بالحسنى، أو بالقانون وليس بالمنكر الذي يضيع حقه.

ومن كان غير قادر على هذا فليقل :

" اللهم إن هذا منكر لا نرضى به ولا نقدر عليه "

ومن هنا يتبين لنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يكون المجتمع الإسلامي آمناً من كل منكر يتعاطف بعضه مع بعض وينصح بعضه بعضاً .

لهذا جعل الله أجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعلى الدرجات، ومن مات وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ألحقه الله كما رأينا بـ ﴿ خَيْرُ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠)

أي يلحقه بالأمة الوسط :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٤)

فالدعوة لله واجبة وثوابها وأجرها من عند الله وحده وليست وسيلة لكسب العيش.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (النساء ١٣٤)

أي أن أجر هذا العمل هو الجزاء عند الله في الدنيا الكبرى وفي الدار الآخرة .

أما من أخذ أجره في الدنيا الصغرى فليس له عند الله شيء .

وهنا كما قدر الله الحج لمن استطاع إليه سبيلاً فالتفرغ للدعوة لله و الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك لمن استطاع إليه سبيلاً، أي للمؤمن الموسر الذي

أغناه الله بما يكفيه للعيش الكريم، حتى تكون الدعوة للخير خالصة لوجه الله وحده

ولا أجر له في الدنيا عليها إن أراد أن يكون من أعضاء الأمة الوسط عند الله.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز آيات بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبّر عنها تبارك وتعالى " بالوعظ " .

- ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

(الشعراء ١٣٦)

- ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ... ﴾

(لقمان ٠١٣)

- ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ... ﴾

(النور ٠١٧)

- ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ ... ﴾

(النساء ٠٣٤)

- ﴿ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾

(يونس ٠٥٧)

فالموعظة هي التذكير بعمل الخير والبعد عن الشر، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما النصيحة فتختلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتختلف عن الموعظة... كما سنرى.

النصيحة

عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال :

" الدين النصيحة " قلنا لمن ... قال :

" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " ^١

(صدق رسول الله)

فعندما يقول الرسول ﷺ : إن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا يعني أن النصيحة أمر واحد سواء لله ، أو لكتابه ، أو لرسوله ، أو لأئمة المسلمين وعامتهم ..

تردد في التفاسير أن النصيحة تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولشرح هذا الحديث الشريف أعطوا لكلمة النصيحة أربعة معانٍ مختلفة ؛ لأن النصيحة لله تختلف عن النصيحة لكتابه ، وعن النصيحة لرسوله، وعن النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم. والحقيقة غير ذلك كما سنرى فكلمة النصيحة في كلام العرب مأخوذة من:

(١) نصح الرجل ثوبه (إذا خاطه)

(٢) نصحت العسل (إذا صفيته من الشمع)

فالمعنى الأول : هو الارتباط والترابط؛ لأن خياطة الثوب هي ربط وجمع طرف بطرف .

والمعنى الثاني : هو الصفاء والنقاء والتخلص من الغش؛ لأن العسل إذا صفيته من الشمع خلصته من الخلط

^١ مسلم (كتاب الإيمان / بيان أن الدين النصيحة) جزء ١ ، ص ٧٤.

فإذا جمعنا بين المعنيين معا فتكون النصيحة هي:

الارتباط والترابط بصفاء ونقاء وبدون غش.

أي الارتباط بإخلاص وشفافية ، وهذا هو المقصود في الحديث الشريف.

" الدين النصيحة " : يعني الدين الترابط بإخلاص

لله عز وجل : الارتباط به بإخلاص : التقرب إليه بالعبادة والطاعة والبعد

عن المعصية لرضاه (وذكره في كل حين)

ولكتاب : الارتباط به بإخلاص : دراسته وتلاوته والعمل به.

ولرسوله : الارتباط به بإخلاص : اتباع سنته وطاعته ونشر دعوته.

ولأئمة المسلمين : الارتباط بهم بإخلاص : مؤازرتهم وطاعتهم لأنهم

رمز الجماعة.

وعامتهم : الارتباط بهم بإخلاص : بجمع القلوب وتأليفها ونبذ

التفرقة والغش في المعاملة.

فالنصيحة إذن عبادة ؛ لأن الدين بني على الترابط والصفاء والإخلاص ، لذلك

يقول الله تعالى:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ (آل عمران ١٠٣)

أي انصحوا الله وتناصحوا فيما بينكم .

ولتأكيد هذا المعنى يقول الله تعالى في آياته البيّنات :

(١) ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ (القصص ١٢)

كيف يكون أهل البيت ناصحين لرضيع ...؟

إذن فقول الله تعالى هنا : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾

يعني : يضمونه إليهم ويرتبطون به بصدق وإخلاص .

(٢) ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(يوسف ١١)

فقوله تعالى هنا ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴾ يعني لا نتركه قيد أملة، بل نلازمه دائما بصدق وإخلاص.

(٣) ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا

يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ مَا عَلَى

الْمُحْسِنِينَ ۗ مِنْ سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ (التوبة ٩١)

فقول الله تعالى ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي إذا كانوا حقا متصلين بالله ومتراطين مع الرسول بإخلاص وشفافية.

(٤) وكذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (التحریم ٨)

فقول الله تعالى هنا : ﴿ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾

﴿ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي اتركوا المعاصي التي أبعدتكم عن الله.

﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ أي توبة تعيد ارتباطكم بصدق وصفاء بالله طاعة له وبعدا عن

معصيته .

فمن قرأ آية من آيات الله فيها كلمة ينصح أو ناصحون فليعتبرها: يرتبط بكم

مخلصا، أو مرتبط بكم بإخلاص، أو مخلص لكم.

وكذلك قول الرسول ﷺ : " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها
بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة " ^١ (صدق رسول الله)

يحطها بنصيحة : أي يتعهد أمرها بترابط وإخلاص وجمع للشمل.
وأخيراً .. حديث جرير بن عبد الله قال : بايعت النبي ﷺ على السمع
والطاعة، فلقني فيما استطعت :

" والنصح لكل مسلم " ^٢

= يعني الترابط بإخلاص وشفافية بكل مسلم

اللهم اجعلنا

من الناصحين لك ولكتابك ولرسولك ولأئمة المسلمين وعامتهم

آمين

أما أن نعتقد بأن الأمة المحمدية منذ خاتم الرسل إلى البعث كاملة أمة عدل فغير
صحيح ، أو أنها ستشهد على الناس كافة يوم البعث فغير صحيح ، أو أنها
خير أمة أخرجت للناس فغير صحيح.

مصدقا لقوله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ^ج

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ^ج إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^ج ﴾ (الحجرات ١٣)

يقول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾

نداء لكل الناس، من غير تخصيص لفئة معينة ، إذن فالناس هنا تعني كل البشر من

^١ مسلم (كتاب الإيمان / باب استحقاق الوالي) جزء ١، ص ١٢٥.

^٢ مسلم (كتاب الإيمان / باب بيان أن الدين النصيحة) جزء ١، ص ٧٥.

بني آدم منذ آدم حتى البعث ، كلهم خلقهم الله بطريقة واحدة من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا مختلفة وقبائل متعددة لماذا ؟..

يقول الله تعالى : ﴿ لَتَعَارَفُوا ﴾

أي : حتى يسهل تعارفكم بعضكم لبعض ولا يفضل الله شعبا على شعب، ولا قبيلة على قبيلة ولا إنسان على إنسان إلا بمقياس واحد هو التقوى.

وهذا يعني أنه لا تفضيل لأتباع رسول على أتباع رسول آخر إلا بالتقوى.

وإن تفضيل الله تعالى " للأمة الوسط " ، " أمة محمد الخاصة " جاء من كون أعضاء هذه الأمة هم خيرة المؤمنين، أي الشهداء التابعين لجميع الرسل والنبين منذ آدم حتى البعث حيث ينعتهم الله :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (آل عمران ١٠٦)

أي يوم القيامة بقوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ صدق الله العظيم

لذا كان دعاء المؤمنين التابعين لجميع الرسل السابقين لخاتم الرسل بأن يلحقهم الله بأمة محمد أي "الأمة الوسط".

﴿ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٥٣)

وهذا دليل على أنهم كانوا على علم بأن أمة محمد مؤلفة من شهداء كل الأمم الإسلامية منذ آدم حتى البعث.

قال رسول الله ﷺ (عن سهيل بن حنيف رضي الله عنه) :

" من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه " ^١
وقال ﷺ (عن أنس رضي الله عنه) :

" من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه " ^٢

فقول الرسول ﷺ في الحديثين الشريفين :

- " وإن مات على فراشه " .

- " ولو لم تصبه " .

يعني حتى لو مات في غير معركة حربية أو مريضا أو مقتولا يكفيه أن يكون مؤمنا صادقا في إيمانه، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ويدعو الله ﴿ فَآكُتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

ليلتحق عند موته " بالأمة الوسط " ، " أمة محمد الخاصة " الشهداء على الناس في الدنيا الكبرى، ويوم البعث، وبذلك يكون من السابقين بدخول الجنة بغير حساب.

وفي حديث آخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قال : قال رسول الله ﷺ :

" إن لله عبادا يرضن بهم عن القتل ويظيل أعمارهم في حسن العمل ، ويحسن أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش ويعطيهم منازل الشهداء " ^٣
(رواه الطبراني)

وهذا دليل على أن الشهداء من اختيار الله عز وجل .

قال الرسول ﷺ :

" نحن آخر الأمم وأول من يحاسب ، يقال : أين الأمة الأمية ونبياها ؟ فنحن

^١ كتاب الإمارة / باب استحباب طلب الشهادة جزء ٣، ص ١٥١٧ .

^٢ كتاب الإمارة / باب استحباب طلب الشهادة جزء ٣، ص ١٥١٧ .

^٣ رواه الطبراني / جزء ١٠، ص ٢١٧ .

الآخرون الأولون " ١ .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما :

" فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من آثار الوضوء ، فتقول
الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها " ٢ (صدق رسول الله ﷺ)
رب قائل يقول : إن الأمة الأمية هم أول من يدخل الجنة . وهذا يعني أنهم
هم السابقون بدخول الجنة.

والحقيقة أن هذا الحديث الشريف يعني أسبقية الأمة الأمية في الحساب، وهم
حينئذ ضمن أصحاب اليمين، وليسوا ضمن السابقين الذين يدخلون الجنة بدون
حساب .

وقول الله تعالى في سورة الواقعة يوضح لنا ذلك ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾

السابقون : ثلة من الأولين - من سابق الأمم

وقليل من الآخرين - من الأمة الأمية

أصحاب اليمين : ثلة من الأولين - من سابق الأمم

ثلة من الآخرين - من الأمة الأمية

أصحاب الشمال : الأولين والآخرين - ممن غضب الله عليهم

من سائر الأمم

فمعنى ذلك أن كل فريق من الفرق الثلاثة يجمع بين الأولين والآخرين.

ذكرنا هذا الحديث وعلقنا عليه لنبين ونؤكد بأن الأمة الوسط هم السابقون
لأنهم معفون من الحساب ويسبقون الخلق بدخول الجنة بعد يوم الحساب بعد أن
يشهدوا للرسول ولأصحاب اليمين وعلى أصحاب الشمال، ويشهد الرسول ﷺ
عليهم جميعا.

١ مسند أحمد / جزء ١ ، ص ٢٨٢ ، وإسناده صحيح.

٢ مسند أحمد / جزء ١ ، ص ٢٩٦ ، وإسناده صحيح.

قال ﷺ (جزء من حديث طويل):

" أنا سيد الناس يوم القيامة . وهل تدرون مم ذلك ...؟ يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ... ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : أمّتي يا رب ، أمّتي يا رب . فيقال : يا محمد :

– أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة .

– وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ."^١

(صدق رسول الله)

من هذا الحديث نستنتج أن السابقين هم هذه الفئة من الأمة الإسلامية التي لا حساب عليها ويسبقون بدخول الجنة، وهؤلاء أعضاء (الأمة الوسط) أمة محمد الخاصة.

أما أصحاب اليمين من جميع الأمم الإسلامية فيدخلون شركاء فيما بينهم من أبواب الجنة .

^١ مسلم (كتاب الإيمان / باب أدنى باب الجنة) جزء ١، ص ١٨٤.

أمّتي ... أمّتي

ذكر الرسول ﷺ كلمة أمّتي في عدة أحاديث شريفة ولأن كلمة أمّتي لا تعم الأمة المحمدية قاطبة فيجب أن نميز بين قوله ﷺ :

" أمّتي " السابقون من كل الأمم الإسلامية .
و " أمّتي " أصحاب اليمين من الأمة المحمدية .
و " أمّتي " أصحاب الشمال من الأمة المحمدية .
وهذه أمثلة لذلك :

(١) أمّتي السابقون "

قال عليه الصلاة والسلام :

" في كل قرن من أمّتي " سابقون " ^١

أي يلتحق كل مائة عام جزء من الأمة المحمدية بالسابقين " الأمة الوسط " .
وفي حديث آخر :

" لا يزال من أمّتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " ^٢

أي : من الأمة المحمدية أمة خاصة يهدون بالحق وبه يعدلون وهم السابقون من الأمة المحمدية .

وفي حديث آخر :

" أنا وأمّتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه عز وجل ، ذلك

^١ حلية الأولياء، جزء ١، ص ٨.

^٢ البخاري (كتاب المناقب / باب حدثنا محمد) جزء ٦، ص ٦٣٢.

قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (وسطا قال: عدلا) لتكونوا شهداء

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ^١

(وهؤلاء هم السابقون من جميع الأمم الإسلامية)

أي: أمة الشهداء على الناس المعفيين من الحساب والرسول عليهم شهيدا.

(٢) أمتي .. أصحاب اليمين

قال ﷺ :

نحن آخر الأمم وأول من يحاسب ، يقال : أين الأمة الأمية ونبيها ؟ فنحن

الآخرون الأولون .^٢

(وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما)

" فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرباً محجلين من آثار الوضوء فتقول

الأمم.... كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها " ^٣

فقول الرسول ﷺ هنا :

(أول من يحاسب)، وقوله: (فتمضي غرباً محجلين من آثار الوضوء) يعني "أصحاب

اليمين" المعدين للحساب. أما السابقون فهم كما رأينا على كوم مشرفين على

الخلائق لا علاقة لهم بالحساب بل ويشهدون للنبيين وأصحاب اليمين وعلى

أصحاب الشمال.

(٣) أمتي .. أصحاب الشمال :

قال ﷺ :

" إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم فوالله لتقطعن دوني رجالا فلاقولن :

^١ تفسير الطبري (جزء ٢، ص ٨) سورة البقرة ١٤٣.

^٢ مسند أحمد (جزء ١، ص ٢٨٢) وإسناده صحيح.

^٣ مسند أحمد (جزء ١، ص ٢٩٦) وإسناده صحيح.

أي ربي مني ومن أمتي. فيقول : إنك لا تدري ما عملوا بعدك ، ما زالوا يرجعون على أعقابهم" ^١ (صدق رسول الله)

فهذا الحديث الشريف يصور لنا الرسول ﷺ على باب الجنة يستقبل المسلمين، فيرى بعضهم من أمته يمنع من دخول الجنة فيشفع لهم عند الله قائلا: " أي ربي مني ومن أمتي " فيقول الله له: " إنك لا تدري ما عملوا بعدك " أي لا يقبل فيهم الشفاعة وقد حق عليهم العذاب .

قال ﷺ في أحاديث الإسراء والمعراج :

" ثم إن جبريل سبقني إلى بيت المقدس فتبعته وإذا هو قد أقبل ومعه ثلاثة أقداح، في الأول لبن، وفي الثاني خمر، وفي الثالث ماء ، فقال لي : اشرب أيها شئت . فأخذت اللبن وشربته إلا قليلا فقال لي جبريل . أخذت الفطرة كلها، ولو أخذت الخمر لغوت أمتك، ولو أخذت الماء لغرقت أمتك ولو شربت اللبن كله ما دخل أحد من أمتك النار. فقلت : يا أخي رد علي القدح. فقال : هيهات يا محمد قضى الأمر وجف القلم بما هو كائن . فقلت : كان ذلك في الكتاب مسطورا .. ^٢

فهذا الحديث يوضح لنا أن جزءاً من الأمة المحمدية قدر الله لهم دخول النار، ولن يكونوا لا من الأمة الوسط ولا من أصحاب اليمين ولا من الأعراف ولا من المقبول شفاعة الرسول فيهم .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢١٤)

لما نزلت هذه الآية دعا الرسول ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص وقال:

^١ البحاري (كتاب الرقاق / باب في الحوض) جزء ١١، ص ٤٦٦.

^٢ البحاري (كتاب أحاديث الأنبياء / باب وهل أتاك حديث موسى) جزء ٦، ص ٤٢٨.

"يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار
يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار
يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار
يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار
يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار
يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار
فإني لا أملك لكم من الله شيئاً إن لكم رحماً سأبليها ببلالها" ^١
(وفي حديث آخر)

"يا فاطمة بنت محمد ...
يا صفية بنت عبد المطلب ...
يا بني عبد المطلب ...

لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني مالي ما شئتم" ^٢
وكما أخبر الله خاتم النبيين ﷺ بهذا الأمر فقد أخبر من قبله إبراهيم عليه
السلام وسائر المرسلين.
حيث قال جل من قائل:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

أي أنه سبحانه وتعالى سيجعله إماماً هو وذريته مستثنيا الظالمين ولو كانوا من
ذريته.

قال ﷺ: " لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي

^١ مسند أحمد (جزء ٢، ص ٥١٩) وإسناده صحيح.

^٢ البخاري (كتاب المناقب / باب من انتسب إلى آبائه) جزء ٦، ص ٥٥١.

شفاعة لأمتي في الآخرة " ١

فقول الرسول ﷺ هنا: " شفاعة لأمتي " :

" لأمتي " هنا لا تعني " الأمة الوسط " لأن الأمة الوسط مؤلفة من شهداء المسلمين وهم السابقون بدخول الجنة بغير حساب، وليسوا في حاجة إلى شفاعة، وكذلك لأصحاب اليمين المعدون لدخول الجنة بعد الحساب.

إذن فالشفاعة هنا تكون للعاصين من المسلمين الآخرين ، وقد قدر الله عليهم دخول النار إلا إذا قبل الله سبحانه وتعالى شفاعة الرسول ﷺ فيهم.

فالأمر كله لله وحده حين يرضى ويرضى شفاعة الشافعين.

وهنا يجب أن نميز بين أمنية الرسول لأتمته وقرار الله لعباده.

يعلّمنا القرآن الكريم أن القرار أولاً وأخيراً لله عز وجل، ولا يقبل الشفاعة إلا حين يأذن بها، وحين يرضى ويرضى شفاعة الشافعين . فلا تسبقه إرادة ولا يبدله رجاء إذا قضى أمراً.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ (البقرة ٢٥٥)

لذلك يقول الرسول ﷺ : " أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً " ٢

والرسول ﷺ شأنه في ذلك شأن الرسل والأنبياء السابقين له كل يدعو لأتمته ويرجو لها الخير والقبول عند الله رب العالمين.

ومن أمثلة رجاء الرسول وأمنيته ﷺ لأتمته:

(١) قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ

^١ البخاري (كتاب الدعوات / باب لكل نبي دعوة مستجابة) جزء ١١، ص ٩٦.

^٢ مسلم (كتاب الإيمان / باب أنذر عشيرتك) جزء ١، ص ١٩٢.

لَا تَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
 أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

(التوبة ٧٩-٨٠)

﴿ فِرَاحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٨١﴾

(التوبة ٨١)

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾

(التوبة ٨٤)

في هذه الآيات الكريمة يعتبر الله الذين يلمزون المطوعين، والذين كرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله يعتبرهم فاسقين، وأمر النبي ﷺ بأن لا يستغفر لهم أو يصلي على أحد مات منهم أبدا.

فلما توفي أحدهم " عبد الله بن أبي " جاء ابنه إلى الرسول ﷺ وقال : اعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه، ثم قال : آذني حتى أصلي عليه فأذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال :
 أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟

فقال : " أنا بين خيرتين : أستغفر لهم أو لا أستغفر " فصلى عليه.

قال المفسرون : وكلم رسول الله ﷺ فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال:
 "وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله ، والله إن كنت لأرجو أن يسلم به

ألف من قومه " ١

فأمنية الرسول ﷺ أن يغفر الله له ليتيح الفرصة لألف من قومه بدخول الإسلام. ولكن الله سبحانه وتعالى قرر وقدر ولم يقبل له ولا لأمثاله شفاعة الرسول ﷺ. فهل عسانا نقدر ونقيم نظرة الله للذين يلمزون المطوعين..؟
والذين كرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله؟
حتى نرجو ونأمل ونستبشر خيرا في شفاعة الرسول ﷺ وهو القائل :
" ما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله " ...

(٢) مثال آخر :

لما نزلت هذه الآيات:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ

مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الواقعة ٠١٠-٠١٤)

شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فقال النبي : "إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أو ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني"

وفي حديث آخر :

" والذي نفسي بيده لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة " ٢

وثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ "مع كل ألف سبعون ألفا" - وفي آخر - "مع كل واحد سبعون ألفا".

١ البخاري (كتاب التفسير / باب ولا تصل على أحد منهم) جزء ٨ ، ص ٣٣٧.

٢ مسلم (كتاب الإيمان / باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة) جزء ١ ، ص ٢٠١.

التعليق :

عندما نزلت هذه الآيات حزن أصحاب الرسول ﷺ، وهذا الحزن دليل على أنهم وعوا تماما معنى قول الله تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخْرِينِ ﴾ أي قليل من الأمة المحمدية، ولكن الرسول ﷺ طيب خاطرهم ودعا لهم وتمنى ورجا الله أن يكونوا يوم القيامة ربع أو ثلث أو نصف أهل الجنة أو أكثر من ذلك .

ولكنه أكد أن عدد السابقين من الأمة المحمدية الذين يدخلون الجنة بغير حساب فعلا قليل بالنسبة لمجموع السابقين من الأمم الإسلامية الأولين . وضرب عددا تقريبا سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً، أو مع كل واحد سبعون ألفاً أو غير ذلك، فالمهم أن العدد يوضح بجلاء قلة السابقين منذ عهده إلى يوم البعث. وهذا الحديث ينفي تماما اعتبار المفسرين أن الأولين والآخرين كلهم من الأمة المحمدية . الأولون منهم أول هذه الأمة والآخرون آخرها .

وأني لأتعجب من هذا التفسير الذي يتعارض مع المفهوم اللغوي للآية :

فقول الله تعالى:

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (الواقعة ٠٠٧)

﴿ كُنْتُمْ ﴾ إما تعود على الخلق أجمعين فيكون السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال من الخلق أجمعين، أو تعود على أمة محمد فقط فيكون السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال كذلك من أمة محمد فقط.

ولا ينسجم لغويا اعتبار السابقين من أمة محمد فقط، وأصحاب اليمين،

وأصحاب الشمال من الأمم الأخرى ؟

وقول الله تعالى في سورة الواقعة:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ : أي يوم القيامة.

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ : أي الخلق أجمعين وليس الأمة المحمدية وحدها.

كقوله تعالى في سورة الرحمن :

﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ : أي يوم القيامة.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ : أي الخلق المسئول عن أعماله من الثقلان. وليس الأمة المحمدية وحدها .

أما محاولة المفسرين التشكيك في معنى النص القرآني الصريح ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ

الْآخِرِينَ ﴾ أي أن عددهم أقل من الأولين .

فهل هذا كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ أم هو

كلام البشر الذي يناقش في مصداقيته ...؟

فقول الرسول ﷺ : إنه يرجو، والرجاء هو أمنية كل نبي لأُمَّته، ولكن الذي

يقضي هو الله الواحد الأحد الذي لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه .

خلاصة البحث

خلاصة البحث

من هذا كله يتبين لنا أن الأمة الوسط هي أمة محمد ﷺ الخاصة، مؤلفة من شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث، وهي أمة معفاة من الحساب، وهم السابقون بدخول الجنة بعد أن يشهدوا للرسول والنبين وعلى الناس أجمعين.

وقال الله تبارك وتعالى عنها :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٨١)

أي الأمة الوسط

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩)

أي الأمة الوسط

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران ١٠٤)

أي الأمة الوسط

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ (آل عمران ١٤٠)

أي الأمة الوسط

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ ﴾ (التوبة ١٠٥)

أي الأمة الوسط

﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(الحج ٠٧٨)

أي الأمة الوسط

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

(البقرة ١٤٣)

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

أي الأمة الوسط

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۗ ﴾

(النساء ٠٤١)

أي الأمة الوسط

﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ وَجِئَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ۗ ﴾

(الزمر ٠٦٩)

أي الأمة الوسط

وأخيرا ينعتهم الله تعالى يوم القيامة بقوله :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(آل عمران ١١٠)

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾

أي الأمة الوسط

شرف الله قدرها، وهدانا جميعا لنتحقق بها، وصلى الله على سيدنا محمد زعيمها والشاهد عليها، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

دعوة الكاتب إلى قارئ هذا الكتاب

يجد القارئ تكرارا في الشرح وإسهابا في الحديث، وكان ذلك متعمدا نظرا لأهمية توضيح " الأمة الوسط " لإزالة كل شك أو غموض .
وأدعو كل قارئ لهذا الكتاب أن يكون رسولا لتصحيح المفهوم الخاطئ السائد بين المسلمين عن الأمة الوسط " أمة محمد الخاصة " ﷺ شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث، وله الأجر والثواب من عند الله وحده، وأن لا يتردد في طلب التوضيح من الكاتب مباشرة

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه ١١٤)

سبحانك ربي لا علم لي إلا ما علمتني إنك أنت علام الغيوب، والسلام على من اتبع الهدى.

الهدف من هذا الكتاب

توضيح حقيقة الأمة الوسط من الكتاب والسنة، ودعوة لكل مسلم عزم الانضمام للأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس منذ آدم حتى البعث أن يعمل لها..
هذه الأمة التي فضلها الله على سائر الناس، واختارها من جميع الأمم الإسلامية منذ آدم حتى البعث، جعل زعيمها حبيبه المصطفى سيدنا محمد ﷺ سيد بني آدم يوم البعث...

ليكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول شهيداً عليهم، ويسبقون الناس بدخول الجنة وبغير حساب.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (الشمس ٠٠٧-٠١٠)

(صدق الله العظيم)

وختامًا

رب قائل يقول : إن ما جاء به هذا الكتاب لا يتفق مع ما يصرح به العلماء المرموقين ذوي المكانة الرفيعة في قلوب الناس وموضع ثقتهم ومرجع معرفتهم.

الجواب :

لما كان الكمال في كل شيء لله وحده، فالناس جميعًا لا تكتمل معرفتهم ولا يكتمل علمهم بل يزداد يومًا بعد يوم

لذلك أوحى الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام لما سُئِلَ في مَلَأ من بني إسرائيل... هل أنت أعلم الناس؟ فأجاب بنعم.... فأوحى الله إليه أن يبحث عن عبد بسيط من عباد الله... سيدنا " الخضر " ليخبره بما لا يعلم.... حسب ما جاء في القرآن الكريم سورة الكهف (٦٠-٨٢)، وما صرح به الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة.

وتصحيح معرفة عالم من العلماء المرموقين لا يمكن أن ينقص من قيمته، أو يهز من ثقة الناس فيه، فالعلم علم الله يهبه لمن يشاء، والرسول ﷺ ضرب لنا المثل الأعلى في ذلك، حين سئل عن الروح قال : الروح من أمر ربي، وحين سُئِلَ عن فواتح السور : أكد نزولها مع الوحي، ولم يفصح بمضمونها.

وخلاصة لذلك ما قاله ﷺ :

" من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي " ^١

لأن الأمر كله لله وحده، لذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

^١ البخاري (كتاب فرض الخمس / باب فإن لله خمسه) جزء ٦، ص ٢١٧.

مُتَشَبِّهَةٌ^ط فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ^ق وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿﴾
(آل عمران ٠٠٧)

أي أن كتاب الله اشتمل على آيات متشابهات لا يعلم تأويلها اليوم إلا الله وسيأتينا نبؤها بعد حين، فتصبح من المحكمات؛ لأن الله أراد أن يكون لكل نبأ مستقر أي لتأويل كل آية وقت معلوم.

ولذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ^ج ءآيَتِهِ^ج فَتَعْرِفُونَهَا^ج ﴾
(النمل ٠٩٣)

﴿ سَأُورِيكُمْ^ج ءآيَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ^ج ﴾
(الأنبياء ٠٣٧)

﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ^ج وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^ج ﴾
(الأنعام ٠٦٧)

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، سيد بني آدم يوم البعث، وزعيم الأمة الوسط، شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث.

اللهم آت سيدنا محمد الوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدهته. آمين.

يا قدسنا ..

قال رسول الله ﷺ " : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم قيل فأين هم يا رسول الله ؟ قال: في بيت المقدس " ^١ (صدق رسول الله)

يا قدسنا عيشي وقاومي الظلم

لا تياسني لا تبالي من كرب ومن هم

أحاطوك بسياجٍ شائكٍ سأذيه بالدم

سأعود وسأنفذُ مهما طال الزمن

من عهود .. من وعود .. من سدود .. ومن حمم

الدمع في عيني جليد لن يذوب ولن ينم

أنا صلبٌ ولست جمادًا ولا صنم

سأنزف الدمع على أرضك من فرحٍ برفع العلم

حيّاك الله يا درة العين

وقدّس جهادنا بالسيف وبالقلم ...

شارون وباراك كفرعون وجالوت جيشهم ينهزم

بنصر من الله لا بعدة الكفر ولا بضعف الهمم

فالموت حياة في الأمة الوسط والأمر قد حُسم

بجنة الخلد دون حساب في كتاب الله منذ القِدَم

فهنيئاً لمن سعى لها ونال الفردوس لحياة لا تنعدم

المؤلف

^١ البخاري (كتاب المناقب / باب حدثنا محمد) جزء ٦، ص ٦٣٢.

الفهرست

٣	المقدمة
٥	تساؤلات عن حقيقة الأمة الوسط
١٢	الأمة الوسط
١٣	أولاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط بتطابق الآيات
٢٩	ثانياً: إثبات حقيقة الأمة الوسط من جانب أسباب النزول
٣٤	ثالثاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط من الجانب اللغوي متن اللغة العربية
٤٦	رابعاً: إثبات حقيقة الأمة الوسط من الجانب العقائدي أسس العقيدة الإسلامية
٥٧	تشریف اللہ للأمة الوسط
٨٣	اختيار وتكليف واستدعاء الأمة الوسط
١١٦	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٢١	النصيحة
١٢٩	أمي ... أمي
١٣٩	خلاصة البحث
١٤٢	دعوة الكاتب إلى قارئ هذا الكتاب
١٤٣	الهدف من هذا الكتاب
١٤٤	وختاماً
١٤٦	يا قدسنا ..

إصدارات للمؤلف:

- ١- السبع اللآليء القرآنية (في الخلق والنشأة والبعث)
- ٢- حقيقة الأمة الوسط وفواتح السور القرآنية
- ٣- حقيقة الأمة الوسط - شرف الله قدرها (طبعة ثانية)
- ٤- الحياة الدنيا الصغرى والكبرى - حقيقة البرزخ والموتتين
- ٥- كشف السر في فاتحة الكتاب وفواتح السور القرآنية

يصدر قريبا للمؤلف:

- القضية الكبرى في تفاسير كتاب الله عز وجل

عنوان موقع المؤلف والكتب على الإنترنت:

www.islamnewview.com

البريد الإلكتروني للمؤلف:

wagdy@islamnewview.com

هذا الكتاب

ما زال السادة المفسرون يعتقدون أن الأمة الوسط هي أمة محمد ﷺ العامة، أي المسلمون منذ عهده حتى البعث، مما يخالف العقيدة الإسلامية نصًّا وروحًا، ويخالف آيات الله البينات.

وهذا الكتاب يوضح لكم بالحجة والبرهان أن الأمة الوسط أي الأمة العدل ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ يختارها الله ويؤلفها من شهداء المسلمين منذ آدم حتى البعث، ويكلفها بالشهادة على الناس صحبة الملائكة الكرام، ثم يستدعيها يوم القيامة للإدلاء بشهادتها للنبيين، وعلى الناس أجمعين والرسول ﷺ الشاهد عليها؛ لأنه سيد بني آدم يوم البعث، وأمته الخاصة - أمة الشهداء - هي خير أمة أخرجت للناس مصداقًا لقوله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم :

" أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وتمنى أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه عز وجل. ذلك قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وسطًا قال: عدلاً ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وهذه هي حقيقة الأمة الوسط شرف الله قدرها.

المؤلف

وجدي حسن سري